التقوى

المجلد ٣٦ - العدد ١٠
رجب وشعبان ١٤٤٥هـ، شباط-فبراير/ ٢٠٢٤

المصلح الموعود رضي الله عنه

وامتلاؤه بالعلوم الظاهرة والباطنة

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

فبراير 2024 | المجلد 36 | العدد 10

رجب وشعبان 1445 هـ / شباط - فبراير 2024

2 | **كلمة التقوى**
أنوار العلوم.. مصابيح على طريق العرفان الإلهي

4 | **في رحاب القرآن**
دلالة "الصبي" في المصطلح القرآني

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
إضاءات تربوية في التعاليم النبوية

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
المعنى الحقيقي لنزول الملائكة

10 | **المصلح الموعود وامتلاؤه بالعلوم الظاهرة والباطنة** خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠٢٣/٢/١٧م

22 | **حقيقة تعليم الله الإنسان بالقلم**
حلمي مرمر

25 | **إلى حوريّتي العنقاء.. المغروزة كسيف عمر.. في خاصرة البحر..** أسعد موسى عودة

26 | **جماعة المؤمنين ونظرية شجرة الفاكهة**
سامح مصطفى

30 | **تفسير المصلح الموعود للقرآن الكريم**
نفيس أحمد قمر

34 | **قراءة "في تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"** د. أحمد وائل

خير من إطعامي سمكة، علمني الصيد.. كان هذا تماما هو المعروف الذي أسداه المصلح الموعود ﷺ إلى الإنسانية في عصر ضلت فيه سبيل ربها، إذ أرشدها من جديد إلى ذلك السبيل، لتنحل من فورها كافة العقد الناشئة من ضلالها عنه.

أَنْوَارُ العُلُوم.. مَصَابِيحُ عَلى طَرِيقِ العِرْفَانِ الإِلَهِيِّ

بداية وقبل المضي في سرد افتتاحية عدد هذا الشهر، نقول إن فكرة عنوانها مُستَلهمةٌ من صورة غلاف عدد شهر نوفمبر الماضي، وكان إذَّاك يحمل تنويها لأحد كتب حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ الذي كان عنوانه «العرفان الإلهي». وكانت صفحات ذلك العدد من مجلة التقوى قد عرضت موضوع العرفان الإلهي من زاوية علاقته بحقوق الإنسان، بحيث يصل القارئ في النهاية إلى أن العرفان هو أسمى تلك الحقوق على الإطلاق، إذ لا تتحقق دونه كرامة الإنسان وغاية وجوده.. أما هذا العدد، فتعرض صفحاته موضوع العرفان الإلهي، أي خلاصة الدين النقية، هذه المرة من زاوية علاقته الوطيدة بالإصلاح والتقدم الإنساني بشكل عام وشامل.

إن أمورًا كثيرة تدعونا إلى القول بفكرة أن الدين كان في كل مكان وزمان بوابة العالم إلى التقدم في شتى مجالات الحياة، ولم يزل كذلك. ونعني بالدين في هذا السياق تحديدا خلاصة التعاليم النقية التي زوَّد بها الله كافة خلقه ليعينهم على أمور دنياهم، فلا يضلوا سبيل عرفانه أبدًا. فلسنا إذن نعني بالدين تلك الممارسات الكهنوتية المشيخية، والتي دعت مفكرا ككارل ماركس إلى إطلاق حكمه التعميمي المجحِف والقائل بأن «الدين أفيون الشعوب»! بل إن ما نعنيه بالدين هو فكرة العلاقة المباشرة بين الله ﷻ وخلقه، بما نتج عنه حركة الإصلاح والتقدم المستمرة منذ بواكير الوحي الأولى.. وعلى سبيل المثال، الكتابة، ذلك الاختراع المُذهل الذي لا نزال نجني أثماره إلى يومنا هذا، ظهر إلى الوجود لدواعٍ دينية بحتة، حتى إننا يمكننا عد الكتابة علما دينيا، ولو من حيث المنشأ على الأقل. كذلك علوم الحساب والفلك وإعداد التقاويم، فكان مولد أول تقويم زمني عرفته الإنسانية في رحاب الدين.

والعباد فيما بينهم متفاوتون في درجات الصلاح، والصالحون لا يكتسبون هذا اللقب هكذا اعتباطا، إلا أن يكونوا مُصلحين لما حولهم ومن حولهم، فيتعدى إصلاحهم حدود أنفسهم إلى غيرهم من الناس.

ومن المصلحين من يدشنون المشاريع العائدة بشتى المنافع المادية والروحية على الخلق، كأن يفتتح أحدهم مخبزا أو مشفى أو يخصص أرضا زراعية يعود ريعها على الفقراء والمساكين. ولا جرم أن مثل هذه المشاريع خيرية بالفعل، والمجتمعات بحاجة إلى مثلها كل حين، وهي عنوان مواساة، تزيد الناس تقاربا وأُلفة، ولكن ثمة مشاريع أبعد فائدة وأعظم مثوبة عند الله ﷻ، فلا ينحصر نفعها في إطعام بطون الجوعى أو مداواة السقامى، أي أن المصلح هنا لا يكتفي بالإعطاء، بل يأخذ بأيدي المعوزين إلى المعطي الأكبر، الله ﷻ، فأي إصلاح أعظم من ذلك؟! أن يأخذ صاحب المشروع الخيري بيد الخلق نحو خالقهم، وهذا بالضبط ما اضطلع به المصلح الموعود ﷺ ونكاد نعاينه في كامل

..... أي أن المصلح هنا لا يكتفي بالإعطاء، بل يأخذ بأيدي المعوزين إلى المعطي الأكبر، الله ﷻ، فأي إصلاح أعظم من ذلك؟! أن يأخذ صاحب المشروع الخيري بيد الخلق نحو خالقهم، وهذا بالضبط ما اضطلع به المصلح الموعود ﷺ ونكاد نعاينه في كامل "ببليوغرافيا" حضرته، أي قائمة مؤلفاته الطويلة من كُتب وخطب وخطابات وأقوال...

"ببليوغرافيا" حضرته، أي قائمة مؤلفاته الطويلة من كُتب وخطب وخطابات وأقوال، والتي تضمنت النتاج الفكري لحضرته. ذلك النتاج الذي تراوح بين جهود فكرية مباركة بلغت أوج عظمتها في العمل التفسيري منقطع النظير للقرآن الكريم «التفسير الكبير». وجهود تربوية متمثلة في خطب وخطابات حضرته ﷺ في شتى المناسبات والمواقف، وهي خطابات يرقى كل منها ليكون سِفرًا مستقلا متكاملا، فاستحق ذلك النتاج الفكري المؤلَّف على مدى أكثر من نصف قرن أن يحمل اسم «أنوار العلوم».. فلو لم يكن للمصلح الموعود غير هذا الإنجاز لكفاه!

ليس بوسعنا، في صفحة أو اثنتين، إحصاء مناقب ذلك الرجل وأفضاله على الفكر الإنساني بوجه عام، والإسلامي بوجه خاص.

لم يكن حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ مجرد مصلح ديني أو اجتماعي أو شاعر مفكر تأثر الناس بفكره في عصر من العصور، إنه رجل ذو سمت مختلف، ومجدد من طراز خاص، بحيث وصفه الله ﷻ في إلهام للمسيح الموعود عليه السلام:

«إنّا نبشّرك بغلامٍ مَظهَرِ الحقّ والعُلا، كأنّ الله نزل من السّماء». وإن سلسلة أنوار العلوم تُعد دون أدنى مبالغة مصداقًا قويا لتلك النبوءة المباركة التي تلقاها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في الإلهام المذكور، بشارة له بولادة ابن مبارك يتمتع بمناقب قلما تجتمع في إنسان، إلا أن يكون مصنوعا على عين الله ومؤيَّدًا بنصره ﷻ.

وها هو شهر فبراير الثامن والثلاثون بعد المائة بعد تلقي المسيح الموعود عليه السلام ذلك الإلهام المنطوي على نبوءة الابن الموعود المباركة، والتي يثبت صدقها يوما بعد يوم، حتى بعد مُضيّ عقود عديدة من لقاء ذلك الابن الموعود وجه ربه ﷻ، وفيه يصدر عدد مجلة التقوى مزدانا بعدد من المواد المحتفية بتحقق نبوءة المصلح الموعود، وواسطة عقد مواد العدد خطبة حضرة أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز) التي يعرض فيها شواهد ملموسة لاستيعاب المصلح الموعود ﷺ للبركات والعلوم الظاهرة والباطنة، وبالإضافة إلى كلمة حضرة أمير المؤمنين، ثمة العديد من المواد الأخرى ذات الصلة بالمصلح الموعود شخصيا بوجه خاص، أو بفكرة الإصلاح بوجه عام، أملا أن يكون لنا ولجميع القراء حظ وافر من ذلك الإصلاح، والله تعالى من وراء القصد.

دلالة "الصبي" في المصطلح القرآني

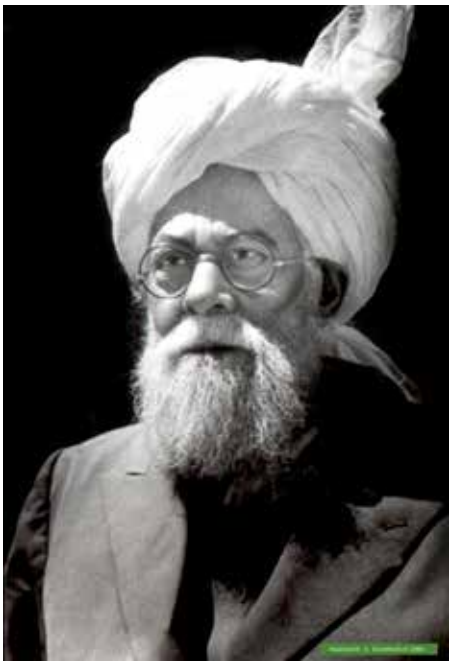

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا* وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٣و ١٤)

شرح الكلمات:

حنانًا: الحنانُ هو الرحمةُ؛ الرزقُ؛ البركةُ؛ الهيبةُ؛ الوقارُ ورقّةُ القلب (الأقرب).

والمراد من الحنان هنا رقّة القلب.

التفسير:

نستنبط من هذا أن التوراة وصُحفها لم تكن قد أصبحت منسوخة حتى ذلك الوقت. ذلك لأن يحيى عليه السلام لم ينزل عليه أي كتاب جديد بحسب عقيدة المسلمين والمسيحيين أيضًا. فالمراد من الكتاب الذي أُمر يحيى بأخذه بقوة هو التوراة.

هذا، وإن المسيح عليه السلام أيضًا قد تعمَّد على يد يوحنا (يحيى)، أي اعترف بكونه تابعًا لدينه. وهذا يعني أن المسيح أيضًا لم يأت بدين جديد. ذلك لأن الله تعالى إذا كان قد بعث نبيين في زمن واحد، وإلى شعب واحد، وكان أحدهما تلميذًا للآخر، فكيف يمكن أن يكون أحدهما آخذًا بالتوراة بقوة، ويكون الآخر ناسخًا لها بكتاب جديد يأتي به. إذن فإن قوله تعالى ﴿يا يحيى خُذِ الكتاب بقوة﴾ إشارةٌ إلى أن الشرع الموسوي ما كان ليُنسَخ عاجلاً على يد المسيح، إذ لو كان نسخه مقدّرًا على يد المسيح لما أوصى الله يحيى بهذه الشدة ﴿يا يحيى خُذِ الكتاب بقوة﴾. إن هذه الكلمات تؤكد أنه كان على بني إسرائيل أن يعملوا بشرع التوراة نفسه. لو كانت التوراة لتُنسخ عاجلاً لما أُمروا بالعمل بها بهذا التأكيد

يخبرنا الله تعالى أن أمّ عيسى عليه السلام لما جاءت به قومَها قال لها اليهود ﴿كيف نُكلّم مَن كان في المهد صبيًّا﴾ (مريم: ٣٠). وهذا يعني أن الناس سموا عيسى صبيًّا، وأما يحيى فسماه الله صبيًّا. وذلك ليشير إلى أنه إذا كان كلام عيسى عليه السلام في صغره معجزة فإن يحيى أيضًا كان موصوفًا بهذا الوصف حيث قال الله عنه ﴿وآتيناه الحُكم صبيًّا﴾.

والشدة. كلا، إن مثل هذه الكلمات لا تقال للعمل المؤقت، وإنما تقال إذا كان ذلك الشرع ما زال واجب العمل به لفترة من الزمن.

أما قول الله تعالى ﴿وآتيناه الحكمَ صبيًّا﴾ فيعني أن الله تعالى قد شرّفه بقربه وهو صغير. بمعنى أن الوحي بدأ ينزل عليه وهو لا يزال صغيراً في أعين القوم، بدليل قولنا: إن فلانًا وليد الأمس، إذ لا يعنون بذلك أنه طفل رضيع. ثم إن الصبي يعني الشاب أيضًا.

الغريب أنه قد جاء في ذلك الزمن نبيّانِ الواحدُ بعد الآخر، وقد استخدم القرآن لكل واحد منهما كلمة ﴿صبيًّا﴾.

يخبرنا الله تعالى أن أمّ عيسى عليه السلام لما جاءت به قومَها قال لها اليهود ﴿كيف نُكلّم مَن كان في المهد صبيًّا﴾ (مريم: ٣٠). وهذا يعني أن الناس سموا عيسى صبيًّا، وأما يحيى فسماه الله صبيًّا. وذلك ليشير إلى أنه إذا كان كلام عيسى عليه السلام في صغره معجزة فإن يحيى أيضًا كان موصوفًا بهذا الوصف حيث قال الله عنه ﴿وآتيناه الحُكم صبيًّا﴾.

بل هناك فرق بينهما وهو أن الذين سمّوا المسيح عليه السلام صبيًّا هم اليهود، ولكن الله تعالى نفسه قد سمى يحيى صبيًّا. فإذا كان المسيحيون يعظّمون المسيح بسبب كلمة قالها أعداؤه في حقه، فلم لا يعظّمون يحيى بسبب الكلمة نفسها خاصة وإن الله تعالى هو الذي قالها في حقه لا الأعداء. لا شك أن الله تعالى قد قال عن المسيح ﴿يكلّم الناسَ في المهد وَكَهْلاً﴾ (آل عمران: ٤٧) ، ولكن فيما يتعلق بتسميته ﴿صبيًّا﴾ فلم يطلقها على عيسى إلا الأعداء.

وكما أن قوله تعالى ﴿وآتيناه الحُكْمَ صبيًّا﴾ يمثّل لومًا للمسيحيين بأنهم إذا كانوا يعظّمون المسيح لكونه غالبًا على أعدائه منذ صغره فلم لا يؤتون يحيى العظمة نفسها وقد حظي هو الآخر بقرب الله تعالى منذ الصغر، كذلك قد عُقدت في قوله تعالى ﴿وحنانًا مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً وكان تقيًّا﴾ المقارنة بين المسيح ويحيى نظرًا إلى تعليم المسيح. يركّز المسيحيون على أن المسيح علّم الرفق والحكم والعفو، فيرد الله تعالى عليهم بأن يحيى أيضًا كان متصفًا برقة القلب والرفق والحلم. فإذا كان الرفق والحلم سببًا لعظمة عيسى فإن يحيى أيضًا كان عظيمًا مثله لاتصافه بالصفة نفسها.

إذًا فالله تعالى قد فنّد في هذه السورة مزاعم المسيحيين بذكر كل الأمور التي يستدلون بها على أفضلية المسيح. وإليك بيانها:

أولاً: يقال أن المسيح كان حليم القلب ورءوفًا ومحبًّا للجميع. فردّ الله تعالى عليهم بقوله إن يحيى أيضًا كان حليم القلب ورءوفًا ومحبًّا للجميع.

ثانيًا: يقال أن المسيح قد أتى بشرع جديد، فيقول الله تعالى لقد أمرنا يحيى هو الآخر بأخذِ الكتاب بقوة.

ثالثًا: يقال أن المسيح تكلم وهو صغير، وهذا دليل على أفضليته، فيقول الله تعالى إننا جعلنا يحيى مأمورًا من عندنا

وهو صغير، وبعثناه إلى الناس.

رابعًا: يقال أن المسيح كان بريئًا من الذنوب، فيقول الله تعالى إن يحيى أيضًا كان مبرأً من الذنوب حيث قال ﴿وزكاةً﴾.. أي منحناه الطهر والقدس.

لقد وصف الله تعالى يحيى هنا بكل الخصوصيات التي تعزى إلى المسيح ليقيم الحجة على المسيحيين، وقال إذا كنتم تفضلون المسيح على الأنبياء الآخرين بسبب هذه الأمور فلم لا تؤمنون بأفضلية يحيى الذي كان هو الآخر مخصوصًا بها.

وبعد أن وصف الله تعالى يحيى بأنه آتاه ﴿زكاةً﴾ قال الآن ﴿وكان تقيًّا﴾.. أي كان صاحب تقوى وورع. علمًا أننا في لغتنا الأردية عندما نقرأ كلمات مترادفة نظن أنها لا تضيف أي مفهوم جديد، وإنما جيء بها من أجل تحبير الكلام وتزيينه فقط. ولكن الأمر ليس كذلك في اللغة العربية، بل إن كل كلمة فيها تنطوي على دلالة معينة. فقوله تعالى آتيناه ﴿زكاة﴾ يعني غير ما يعنيه قوله تعالى ﴿وكان تقيًّا﴾. ذلك أن الزكاة في العربية تعني إزالة العيوب الباطنة، أما التقوى فيعني إزالة العيوب الخارجية. فالآية تعني أننا منحناه من عندنا الحلم والرفق، وجعلنا أفكاره المختلجة بداخله طاهرة، كما وهبنا له القوة ضد المساوئ التي تهاجم من الخارج.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٥)

شرح الكلمات:

بَرًّا: بَرَّ في يمينه: صدَق. وبَرَّ والدَه: أحسنَ الطاعةَ إليه ورفَق به وتَحرَّى مَحابَّه وتَوقَّى مَكارِهَه، فهو بَرٌّ به وبارٌّ (الأقرب).

وهذا يعني أن الإنسان إذا حاول إرضاء والده فتخلَّقَ في ظاهره وباطنه بكل الأخلاق التي تسرّ أباه، وترك كل المساوئ التي يكرهها فقد صار بَرًّا وبارًّا. غير أن البَرّ أبلغ وأقوى من البارّ.

جبّارًا: جبَر العظمَ: أصلحَه من كَسْرٍ؛ وجبَر العظمُ بنفسه: صلُح بعد الكسر. وجبَر الفقيرَ: أغناه. وجبَر فلانًا على الأمر: أكرهَه (الأقرب). وهذا يعني أن الجبر يعني الخير والإصلاح من جهة، ومن جهة أخرى ينطوي على معنى القسر والظلم.

عصيًّا: العصيّ هو العاصي أي الخارج عن الطاعة والمخالف والمعاند (الأقرب).

التفسير:

لقد أخبر الله تعالى بقوله ﴿وبَرًّا بوالديه﴾ أن يحيى كان مطيعًا كاملاً لوالديه. كان متخلقًا بالأخلاق التي يحبّانها، ومتجنبًا لجميع المساوئ التي كانا يكرهانها.

ثم قال الله تعالى ﴿ولم يكن جبّارًا عصيًّا﴾. لقد وصف الله تعالى يحيى بهذه الصفات خاصة ليفنّد مزاعم النصارى الذين يقدمون بكل زهو وتباه التعليمَ التالي للمسيح: «مَن لطَمك على خدّك الأيمن فحَوِّلْ له الآخرَ أيضًا» (متى ٥: ٣٩). فيردّ الله تعالى عليهم ويقول إن يحيى أيضًا لم يكن جبّارًا، وأنه هو الآخر قد دعا الناس إلى ترك الظلم والعدوان.

ثم إن النصارى يزعمون أن من أكبر مزايا المسيح قوله: «أعطُوا إذًا ما لِقيصرَ لقيصر، وما لله لله» (متى ٢٢: ٢١). فيرد الله ﷻ عليهم ويقول إن يحيى أيضًا لم يكن عصيًّا. إنه هو الآخر أمر الناس ألا يرتكبوا العصيان، بل عليهم أن يعطوا لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله ﷻ.

إذن فقد وهب الله تعالى ليحيى كل المحاسن التي تُعزى إلى المسيح عليه السلام. لا شك أن المسيح كان أعظم درجة من يحيى عليهما السلام، ولكن الحديث هنا لا يدور عن الدرجة والمقام، وإنما يخبر الله تعالى هنا أن المسيح لم تكن فيه خصوصية خارقة للعادة. ذلك لأن المسيحيين يبالغون جدًّا في تعظيم المسيح عليه السلام زاعمين أنه قد وُجدت فيه صفات خارقة، ولذلك رد الله تعالى على مزاعمهم هذه، مؤكدًا أن يحيى أيضًا كان متحليًّا بتلك المزايا والمحاسن؛ فإذا كنتم تبالغون في تعظيم المسيح بسببها فلم لا تفعلون ذلك بحق يحيى أيضًا.

فلا ذكر للقتل في هذه الآية، وإنما يدور الحديث هنا عن الأنواع الثلاثة من الحياة، حيث أخبر الله تعالى أن يحيى سيكون موردًا لسلام الله تعالى في كل فترة من فترات حياته الثلاث. بيد أن هذا السلام الإلهي ليس خاصًّا بعيسى أو بيحيى عليهما السلام، بل إن جميع المؤمنين يتمتعون به. يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقُلْ سلام عليكم كتَب ربُّكم على نفسه الرحمةَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٦)

التفسير:

يظن البعض أن السلام المشار إليه في هذه الآية هو السلام المادي، ولأن السلام كان مقدرًا ليحيى عليه السلام يوم موته أيضًا فثبت أنه لم يُستشهد.

ولكني أقول إذا كان السلام يعني سلامته من القتل، فما هو المراد إذن من السلام عليه يوم القيامة؟ فهل سيحاول عدو من أعدائه اغتياله يوم القيامة حتى وعده الله بالسلام في ذلك اليوم أيضًا؟ إذا كان هذا هو مفهوم السلام فسيكون معنى الآية كلها كالآتي: أن يحيى سيسلَم من القتل يوم يولد، وسيسلَم من القتل يوم يموت، وسيسلم من القتل حين يُبعث حيًّا يوم القيامة!

الحق أن الله تعالى قد أشار هنا إلى ثلاثة أدوار مختلفة، ولكن أصحاب الرأي المذكور أعلاه قد أخطأوا في فهم هذه الآية. الواقع أن حياة الإنسان ثلاث. فتبدأ الحياة الأولى بولادة الإنسان وتنتهي بموته. وأما الثانية فتبدأ بموت الإنسان وتستمر إلى يوم القيامة، وتسمى الحياة البرزخية. وأما الثالثة التي تُسمَّى يوم البعث في القرآن الكريم، فتبدأ بدخول أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ بشكل كامل. فالولادة بداية للحياة الدنيا، والموت بداية للحياة البرزخية، ويوم القيامة بداية للحياة الآخرة. ويخبرنا الله تعالى هنا أن سلامنا سيشمل يحيى في كل هذه الفترات من الحياة؛ فسينزل عليه السلام منا عند ولادته، وسيظل متمتعًا به في حياته الدنيا كلها. ثم يشمله السلام منا حين يموت، وسيظل في سلام خلال حياته البرزخية. ثم يكون في سلام يوم القيامة، وسيظل موردًا لفضل الله ورحمته في حياته الآخرة.

باختصار لا ذكر للقتل في هذه الآية، وإنما يدور الحديث هنا حول الأنواع الثلاثة من الحياة، حيث أخبر الله تعالى أن يحيى سيكون موردًا لسلام الله تعالى في كل فترة من فترات حياته الثلاث.

بيد أن هذا السلام الإلهي ليس خاصًّا بعيسى أو بيحيى عليهما السلام، بل إن جميع المؤمنين يتمتعون به. يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقُلْ سلام عليكم كتَب ربُّكم على نفسه الرحمةَ﴾ (الأنعام: ٥٥). وبالرغم من أن هذا السلام على المؤمنين كان من عند الله تعالى، ومع ذلك قد استُشهد كثير منهم.

ثم يقول الله تعالى عن المؤمنين جميعًا ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخُلوا الجنّةَ بما كنتم تعمَلون﴾ (النحل: ٣٣).. أي الذين تقبض الملائكة أرواحهم وهم طيبون أطهار فإن الملائكة تقرأ عليهم السلام وتدعوهم إلى الدخول في الجنة. والظاهر أن الملائكة تقبض أرواح الناس بطرق شتى، منها الاستشهاد. فلو كان السلام يعني السلامة من القتل، أفليس عجيبًا أن يكون العدو يقتلهم والملائكة تقول لهم سلام عليكم، سلام عليكم! أي كانت تقول على عكس ما يجري معهم. (يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

إضاءات تربوية في التعاليم النبوية

عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا». (سنن أبي داود، كتاب الأدب)

عنْ أَيُّوب بْن مُوسَى ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». (جامع الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ)

عنِ ابْن عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قال لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ. إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ. وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.» (جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ)

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.» (سنن النسائي، كتاب الوصايا)

عنِ ابن عُمرَ ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ. وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهْيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ.» (صحيح البخاري، كتاب النكاح)

عنْ أبي هريرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قَال: لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ. وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ يَعْنِي قَوْلَهُ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)

هكذا تكلم المسيح الموعود

المعنى الحقيقي لنزول الملائكة

ما معنى نزول الملائكة؟ فليتضح أنه قد جرت سنة الله أنه كلما نزل من السماء رسول أو نبي أو محدَّث لإصلاح خلق الله ينزل معه حتما ملائكةٌ يلقون الهداية في القلوب المتحمسة ويرغِّبونهم في الحسنة ويستمر نزولهم ما لم تنمحِ ظلمة الكفر والضلال وينبلج صبح الإيمان والحق كما يقول جلّ شأنه: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ٥-٦) فإن الملائكة وروح القدس تنزل من السماء حين ينزل إلى الأرض رجل عظيم لابسا خلعة الخلافة ومشرَّفا بمكالمة الله. ويوهب هذا الخليفةُ الروحَ القدسَ بوجه خاص، وتتنزّل الملائكة التي معه على القلوب السليمة من أهل الدنيا كلهم. فحيثما وُجد أشخاص متميزون من هذه الناحية نزل عليهم ذلك النور ويغطّي العالم كله. وتنشأ في القلوب أفكار حسنة تلقائيا بتأثير الملائكة الطيب ويُحبَّب إليهم التوحيد، وتُنفخ في القلوب الصادقة روح حب الصدق والبحث عن الحق ويُرزَق الضعفاء قوةً، وتهب رياحٌ تدعم هدف ذلك المصلح وتخدم غايته. وينجذب الناس إلى الصلاح تلقائيا بجذب يد من الغيب، فتحدث في الأقوام حركة. عندها يظن عديمو الفهم من الناس أن أفكار الناس ميّالة إلى الصدق تلقائيا ولكنه في الحقيقة عمل الملائكة التي تنزلُ من السماء مع خليفة الله ويرزقون الناس قوى خارقة لفهم الحق وقبوله. إنهم يوقظون الرقودَ ويعيدون السكران إلى الصواب ويفتحون آذان الصم وينفخون روح الحياة في الأموات، ويخرجونهم من القبور. عندها يبدأ الناس بفتح عيونهم دفعة واحدة وتنكشف على قلوبهم أمور كانت خافية من قبل. والحق أن هؤلاء الملائكة ليسوا منفصلين عن خليفة الله بل هم نور وجهه وعلامات جليّة لعزيمته ويجذبون إلى أنفسهم كل ذي طبيعة ملائمة بقوتهم المغناطيسية سواء أكان قريبا جسديا أو بعيدا، وسواء أكان من المعارف أو من الأغيار تماما وإن كان يجهل حتى الاسم. (كتاب فتح الإسلام ص ١٤ و١٥)

المصلح الموعود رضي الله عنه وامتلاؤه بالعلوم الظاهرة والباطنة

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٢/١٧م

في مسجد مبارك، إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

ذكرى العشرين من فبراير

كما يعرف كل مسلم أحمدي إنّنا نحيي ذكرى يوم العشرين من فبراير احتفاءً بالنبوءة عن المصلح الموعود، وبهذه المناسبة تقام الجلسات في فروع الجماعة، وهذا العام سيكون العشرون من فبراير بعد ثلاثة أيام، لكني رأيت من المناسب أن أتكلم عن هذا في خطبة اليوم. أفادت النبوءة بأنه سيُولد لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام ابنٌ يتمتع بمناقب كثيرة، وسوف يحالفه التأييد الخاص والنصرُ من الله ﷻ، فقد ورد عن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بشأن هذه النبوءة قوله:

النبوءة الأولى بإلهام الله تعالى وإعلامه ﷻ: «إن الله الرحيم والكريم رب العزة والجلال والقادر على كل شيء جل شأنه وعز اسمه قد خاطبني بوحي منه قائلا:

«إني أعطيك آية رحمةٍ بحسب ما سألتني. فقد سمعتُ تضرعاتِك، وشرّفت أدعيتَك بالقبول بخالص رحمتي، وباركت رحلتك هذه (يعني سفري إلى هوشياربور ولدهيانه). فآية قدرةٍ ورحمةٍ وقربةٍ ستوهب لك. آية فضل وإحسان ستمنح لك، ومفاتيح فتح وظفر ستعطى لك. سلام عليك يا مظفّر. هكذا يقول الله تعالى، لكي ينجو من براثن الموت من يبتغي الحياة، ويبعث من القبور أهلها، وليتجلّى شرف دين الإسلام وعظمة كلام الله للناس، وليأتي الحق بكل بركاته، ويزهق الباطل بجميع نحوساته، وليعلم الناس أني أنا القادر أفعل ما أشاء، وليوقنوا أني معك، ولترى آيةً بينةً من لا يؤمن بالله تعالى، وينظر إلى الله ودينه وكتابه ورسوله الطاهر محمد المصطفى ﷺ نظرة إنكار وتكذيب، ولتستبين سبيل المجرمين. أَبْشِرْ فستعطى ولدًا وجيهًا طاهرًا. ستوهب غلامًا زكيًا من صلبك وذريتك ونسلك.

غلام جميل طاهر سينزل ضيفًا عليك، اسمه عنموائيل وبشير. لقد أُوتيَ روحًا مقدسة، وهو مطهَّر من الرجس. هو نور الله. مباركٌ الذي يأتي من السماء. معه الفضل الذي ينزل بمجيئه. سيكون صاحب الجلال والعظمة والثراء. سيأتي إلى الدنيا ويشفي الكثير من أمراضهم بنفسه المسيحي وببركة روح الحق. إنه كلمة الله، لأن رحمة الله وغيرته قد أرسلته بكلمة التمجيد. سيكون ذهينًا وفهيمًا بشكل خارق وحليم القلب. سوف يملأ بالعلوم الظاهرة والباطنة. سيجعل الثلاثة أربعة، إنه يوم الاثنين،

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

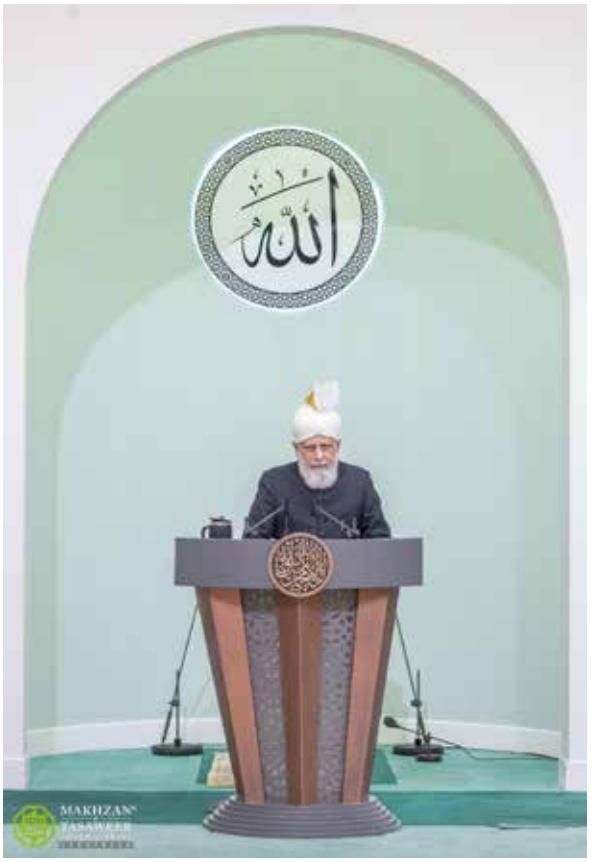

مبارك يوم الاثنين. (كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن جعْل الثلاثة أربعة أنه لم يتضح معناه.) ولد صالح كريم ذكي مبارك، مَظْهَرُ الأوّلِ والآخِرِ، مظهَرُ الحقّ والعلاء، كأن الله نزل من السماء. ظهوره جدّ مبارك ومدعاة لظهوره جلال الله تعالى. بشرى لك، يأتيك نور مسحه الله بطيب رضوانه. سوف ننفخ فيه روحنا، وسيظلّه الله بظلّه. سوف ينمو سريعًا، وسيكون وسيلةً لفكّ رقاب الأسارى، وسيذيع صيته إلى أرجاء الأرض، وسيتبارك منه أقوام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية: السماء. وكان أمرًا مقضيًّا.»

فبحسب هذه النبوءة، وخلال مدة ذكَرها حضرته، قد وُلد له ابنٌ عظيم سمي بحضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، الذي جعله الله تعالى خليفة ثانيا له، وبعد ذلك بمدة طويلة أعلن حضرتُه رضي الله عنه بعد تلقيه الخبر من الله تعالى أنه هو المصلح الموعود الذي أنبأ المسيح الموعود عليه السلام بولادته. وإن كون هذا الابن قد مُلئ من الله بعلوم ظاهرة وباطنة، وكونه ذهينا وفهيما وتحليه بصفات أخرى قد أقرَّ به الأحمديون وغيرُهم أيضا ويدركون ذلك جيدا. حتى إن الأغيار أقروا بذلك علنا.

إنجازات

الآن سأتناول بعضا من إنجازات سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في العلم والمعرفة وغيرِ ذلك من شتى المجالات، وقبل الاستماع لما سأقول، لا يغيبن عن بالكم أن صحة حضرته في الطفولة لم تكن على ما يرام، فكان يعاني الألم في عينيه، ولاحقا فقدَ قدرة إحداهما على الإبصار، ثم إنه لم يكد يتلقى من التعليم المادي شيئا يُذكر، فقد قال بنفسه: إنني بالكاد درستُ حتى الابتدائية، لكن لما كان الله تعالى قد وعد بأنه سيملأه بعلوم دينية ومادية فقد مكنه من إلقاء الخطابات والخطب القوية المحيرة للعقول، فقد كتب مقالاتٍ رائعةً منقطعة النظير، حتى إن الأغيار أشادوا بتفردها.

النتاج العلمي المبارك للمصلح الموعود (رضي الله عنه)

اليوم سأقدم بعض المقتبسات، وقبل ذلك أحدثكم عن حجم أعماله وعدد مؤلفاته وخطاباته ومقالاته وخطبه ومجالس الأسئلة والأجوبة، التي درجنا على دعوتها بمجالس العلم والعرفان. إن الأعمال المعرفية الكاملة لحضرته جُمعت في مجموعة حملت عنوان «أنوار العلوم» وضمت كل الكتب والخطابات والمحاضرات والمقالات والرسائل التي ألفها حضرته رضي الله عنه، وبلغ عدد مجلداتها ثمانيةً وثلاثين مجلدا، وكثير منها قد وُفقنا لنشره، وبقي بعضها جاهزا للطباعة. أما تفصيل أعداد ما تضمنته مجموعة «أنوار العلوم» من خطب وخطابات وكتب وغيرها فهو كالآتي:

بلغ عدد هذه الخطب والخطابات ألفًا وأربعمائةً وأربعًا وعشرين خطبةً وخطابا، بما حبَّر عشرين ألفا وثلاثمئة وأربعين صفحة إجمالا.

أما عدد صفحات مواد تفسير القرآن، من التفسير الكبير

والتفسير الصغير إضافة إلى مواد التفسير الأخرى، فشغلت من صفحات مجموعة أنوار العلوم ثمانيةً وعشرين ألفا وسبعمائةً وخمسًا وثلاثين صفحة.

أما عدد خطب الجمعة التي ألقاها حضرته فبلغ ألفا وثمانمائة وثمانين خطبة، بما حبَّر ثمانية عشر ألفا وسبعمائة وخمس صفحات، هذا إضافة إلى إحدى وخمسين خطبة أخرى ألقاها حضرته بمناسبة عيد الفطر، ملأت خمسمائة وثلاث صفحات، وكذلك هناك اثنتان وأربعون خطبة ألقيت في أعياد الأضحى بما ملأ أربعمائة وخمس صفحات، وهناك أيضا مائة وخمسون خطبة ألقيت في مناسبات إعلان النكاح وعدد صفحاتها ستمائة وأربع وثمانون صفحة.

كان هذا بيانا عن الخطب، أما الخطابات التي ألقاها حضرته ﵁ بمناسبة الشورى، فقد نُشر المجلدان الأول والثالث منها في ألفين ومائة وواحد وثلاثين صفحة، وإذا جمعنا كل هذه الصفحات فيكون المجموع خمسا وسبعين ألف صفحة. وقد قامت خلية البحث في الجماعة بمسح لأعداد جريدتَي الحَكم والفضل خلال الفترة من عام ١٩١٣ إلى ١٩٧٠، وتمخض هذا المسح عن العثور على مادة جديدة لم تكن قد نُشرت بعد في أنوار العلوم أو أي كتاب آخر، فقد عُثِرَ على خمسةٍ وخمسين مقالا وسبعة وعشرين خطابا ومائةً وثلاثة وأربعين محاورة في مجالس العلم والعرفان، ومائتين واثنين وعشرين عنوانا لملفوظات حضرته ومائة وإحدى وثلاثين رسالة، فهي ذخيرة علمية كبيرة.

التفسير الكبير درة التفاسير

الآن أقدم لكم أولا من إنجازاته العلمية بعض التفاصيل عن ترجمته وتفسيره للقرآن الكريم وآراء الأغيار وتعليقاتهم بحقها.

إن إنجاز حضرته التفسيري للقرآن، والمعروف لدينا باسم «التفسير الكبير» قد اشتمل على تفسير تسع وخمسين سورة، وهو في عشرة مجلدات، بلغ مجموع صفحاتها خمسة آلاف وتسعمائةً وسبعَ صفحات، وإضافة إلى ذلك قد عُثِرَ على كثير من الملاحظات التفسيرية في آلاف الصفحات، ومن المأمول أنها أيضا ستنشر يوما.

التفسير الصغير وانسجام التعابير العربية والأردية

من إنجازاته الكبرى تقديم ترجمة أردية سلسة للقرآن الكريم نُشرت بعنوان «التفسير الصغير».

كانت عند حضرته في أواخر أعوام حياته رغبةٌ عارمة في أن تُنشر في حياته ترجمةٌ أرديةٌ سلسةٌ مع ملاحظات جامعة وموجزة لنص القرآن الكريم كاملا. وصحيح أنه بعد العودة من أوروبا في عام ١٩٥٥، لم تكن صحة حضرته على ما يرام، إلا أن الله ﷻ قد أيد خليفته الموعود بروح القدس تأييدا خارقا بحيث سافر حضرته ﵁ في يونيو ١٩٥٦ إلى جبال مَري، وهناك شرع في إملاء هذه الترجمة وتمكن من إنهائها يوم الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٥٦، عند موضع النخلة وهو قرية صغيرة عمَّرها حضرتُه في مصيف "كلركهار"، ثم راجع هذه الترجمة مرتين، ومرورا بشتى مراحل الكتابة والطباعة صدر التفسير الصغير في الخامس عشر من نوفمبر ١٩٥٧. وقد قال سيدنا المصلح الموعود ﵁: أرى أن جميع الترجمات التي صدرت إلى اليوم للقرآن الكريم لم يراعَ في أي منها التوافقُ والانسجام بين التعبير العربي والتعبير الأردي مثلما روعي في هذا التفسير الصغير. فحين نقرأ هذه الترجمة عموما ونقرأ الملاحظات خصوصا يتبين لنا أن حضرته راعى ذلك، فقد وفقه الله ﷻ بمحض فضله لإحراز هذا الإنجاز العظيم خلال مدة وجيزة. فقال ﵁إن الله قد وفق هذا الإنسان الضعيف والمسن لإحراز إنجاز عظيم لم يقدر عليه غيره من الأقوياء جدا، فقد خلا خلال ثلاثة عشر قرنا أبطال أقوياء لم يقدر أحدهم على هذا الإنجاز الذي وفقني له. وفي الحقيقة هذا فعْل الله، يوفِّق لإنجازه مَن يشاء.

وقال في موضع آخر: لقد تمت ترجمة كاملة للقرآن الكريم بفضل الله ورحمته. أي قد تجهز التفسير الصغير من «الحمد لله..» إلى «.. الناس». وتبين من مقارنته بالتفسير الكبير، أن التفسير الصغير قد تضمن بإيجاز مواضيع لم ترِدْ في التفسير الكبير.

أما عدد صفحات مواد تفسير القرآن، من التفسير الكبير والتفسير الصغير إضافة إلى مواد التفسير الأخرى، فشغلت من صفحات مجموعة أنوار العلوم ثمانيةً وعشرين ألفا وسبعمائةً وخمسًا وثلاثين صفحة.

لقد تمت ترجمة كاملة للقرآن الكريم بفضل الله ورحمته. أي قد تجهز التفسير الصغير من «الحمد لله..» إلى «.. الناس». وتبين من مقارنته بالتفسير الكبير، أن التفسير الصغير قد تضمن بإيجاز مواضيع لم ترِدْ في التفسير الكبير.

التفسير بالإنكليزية في خمسة مجلدات

ثم صدر إنجاز مهم، وهو تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، واسمه «التفسير في خمسة مجلدات» وفي مستهل هذا التفسير كتب سيدنا المصلح الموعود ﷺ بقلمه مقدمة زاخرة بالمعارف ألقى فيها الضوء بأسلوب نادر وخلاب على ضرورة القرآن الكريم مع وجود الصحف السماوية الأخرى، والسيرة الطيبة للنبي ﷺ، وجمْعِ القرآن وتعاليمه. في نهاية هذه المقدمة كتب حضرته تحت عنوان «الشكر والتقدير»: في نهاية هذه المقدمة أود أن أُقر بخدمات المولوي شير علي المحترم منقطعة النظير في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزية، والتي أنجزها رغم اعتلال صحته ، وكذلك السيد ملك غلام فريد، ومعالي المرحوم شودري أبي الهاشم خان، ومرزا بشير أحمد المحترم، فالشكر موصول لهم جميعا، فقد كتبوا الملاحظات التفسيرية على الترجمة تلخيصا من شتى خطبي وكتبي ودروسي.

وقال ﷺ أيضا: لكوني تلميذَ سيدنا الخليفة الأول، وردتْ في تفسيري حتما مواضيعُ عدة تعلمتها من حضرته ﷺ، لذا فإن هذا التفسير يضم تفسير سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وتفسير الخليفة الأول ﷺ وتفسيري أنا أيضا. فلما كان الله ﷻ قد مسحَ المسيحَ الموعود عليه السلام بروحه ومكَّنه من العلوم التي هي ضرورية لهذا العصر، لذا فإنني لأرجو أن هذا التفسير سيَشفي الكثيرين من المرضى وينال به البصرَ الكثيرون من العميان، ويسمع ببركته الصمُّ ويتكلم البكمُ، ويمشي العُرجُ والمعاقون، وأن ملائكة الله سيباركون في مواضيعه وأنه سيحقق الهدف الذي من أجله يُنشر. اللهم آمين.

أغيار، ولكن منصفون

إن من اطلعوا على تفسير المصلح الموعود ﷺ للقرآن إلى اليوم من الأغيار وحتى من المسيحيين أثنَوا عليه كثيرا.

من هؤلاء العلامة نياز الفتحبوري، وكان من مشاهير الكتّاب والباحثين والأدباء غير الأحمديين، وهو محرر جريدة «نكار» الشهرية، لما قرأ التفسيرَ الكبير بعث إلى حضرته ﷺ رسالة قال فيها: «أطالع في هذه الأيام المجلد الثالث من التفسير الكبير بنظرة فاحصة. لا شك أنك قد قدمتَ فيه رؤية فريدة تمامًا لدراسة القرآن الكريم، وإنه لأولُ تفسير من نوعه حيث جُمع فيه بين المنقول والمعقول بشكل رائع. إن كل كلمة منه لدليل ساطع على تبحُّرك في العلم، وشمول نظرك، وعمق فكرك، وثاقب فراستك، وحسن استدلالك. ويؤسفني جدا أني ظللتُ جاهلاً بهذا التفسير العظيم إلى هذا الأوان.

علمًا أن كاتب هذا الكلام هو من المثقفين والعلماء الكبار، ويتابع ويقول:

في أثناء مطالعة تفسير سورة «هود» أمسِ اندهشت بالاطلاع على أفكارك الرائعة حول قصة لوط عليه السلام ، فلم أتمالك نفسي حتى كتبتُ هذه الرسالة. ليس بوسعي أداء حق الإشادة بأسلوبك الفريد في تفسير قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، والذي هو مختلف تمامًا عن باقي المفسرين.

وقال العلامة نياز فتحبوري في رسالة أخرى: أقرأ التفسير الكبير بالليل بانتظام. إنه برأيي أول تفسير باللغة الأردية يمكنه أن يقنع ويطمئن العقل البشري إلى حد كبير.

ثم كتب: إن الخدمة التي أسديتموها للإسلام بهذا التفسير تبلغ من العظمة بحيث لا يسع أحدًا من معارضيكم إنكارها. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء!

ويروي السيد أختر أورينوي الحائز على شهادة الماجستير ورئيسُ قسم اللغة الأردية في جامعة «بَتْنَهْ» حادثا وقع له فيقول: أعطيتُ البروفيسور عبد المنان بِيْدِلْ –رئيس قسم اللغة الفارسية سابقًا، وعميد كلية «شبينه» في «بتنه» حاليًا– بعضَ مجلدات التفسير الكبير للخليفة الثاني ﷺ واحدا تلو الآخر، فتأثر بقراءة هذا التفسير لدرجة أنه أعطى بعض مجلدات هذا التفسير لمشايخ مدرسة «شمس الهدى» العربية في «بتنه» ليطلعوا عليها. وذات يوم دعا عددا منهم وسألهم عن رأيهم في هذا التفسير. فقال أحدهم: لا يوجد تفسير مثله في التفاسير الفارسية. فسأل البروفيسور عبد المنان: فهل له مثيل في التفاسير العربية؟ فأطرقوا قليلا، ثم قال أحدهم: لا توجد في مدينة «بتنة» كل التفاسير العربية، وما لم نقرأ جميع التفاسير المصرية والشامية لا نستطيع أن نبني رأيا صائبا. فبدأ البروفيسور يذكر التفاسير العربية القديمة وقال: لا يوجد أي تفسير في أية لغة أخرى يضاهي تفسير مرزا محمود. يمكنكم أن تجلبوا التفاسير الحديثة من مصر والشام وتُناقشوني بعد بضعة أشهر، فبُهت علماء العربية والفارسية الجالسون هناك.

وتحدَّث أحد الأحمديين، ويُدعى سيته محمد أعظم الحيدرآبادي عن صديقه الحميم نواب بهادر يار جنك –الذي كان من الشخصيات البارزة في الهند وباكستان– ولم يكن من الأحمديين، فقال: كان نواب بهادر يار جنك يكثر من ذكر التفسير الكبير في مجالسه، ويقر بعظمته دائما، ويقول لقد استفدت من المعارف المذكورة فيه أيَّما استفادة!

أما الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي، صاحب المؤلفات العديدة ومحرر مجلة «صدق جديد» الصادرة في لكناؤ، فكتب عند وفاة حضرة المصلح الموعود ﷺ: نُشر من كراتشي نَعْيُ إمام الجماعة الأحمدية القاديانية مرزا بشير الدين محمود في يوم الثامن من نوفمبر في ربوة. وبغض النظر عن بعض عقائده الأخرى، ندعو الله تعالى أن يجزي الفقيد على مساعيه التي ظل يبذلها طوال عمره المديد بكل حماس وعزيمة، في سبيل نشر القرآن الكريم في العالم كله، وتبليغ دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء المعمورة، وأن يعامله بالعفو نظرا إلى خدماته هذه. لا شك أن ما قام به الفقيد من شرح لحقائق القرآن الكريم وتبيينٍ لمعارفه ومعانيه، يحتلّ مكانة سامية جدا من الناحية العلمية.

والفضل ما شهدت به الأعداء

هناك زعيم شهير لجماعة الأحراريين، هو المولوي مظهر علي أظهر، وقد قال في كتابه «مؤامرة خطيرة»:

لقد قال المولوي ظفر علي خان: إن الأحراريين قد استغلّوا الأوضاع تحت غطاء المعارِضة للأحمديين استغلالا مشينا، وتلاعبوا بها لجمع الأموال أيما تلاعب! لقد أكلوا تحت غطاء معارضة القاديانية أموال المسلمين الفقراء التي كسبوها بعرق جبينهم. هلا سأل أحدٌ هؤلاء الأحراريين ماذا فعلتم من أجل منفعة المسلمين؟ وما هي الخدمة التي أسديتموها إلى الإسلام؟ أقمتم بتبليغ دعوة الإسلام ولو من غير قصد؟

ثم قال للأحراريين، وهو نفسه أحراري: أيها الأحراريون، أَعِيروني

أيها الأحراريون، أَعِيروني سمعَكم وأَنصِتوا، لن تستطيعوا أنتم وشركاؤكم أن تهزموا مرزا محمود حتى يوم القيامة. إن مرزا محمود يملك عِلْم القرآن، فماذا عندكم. هل فيكم أحد يقدر على أن يقرأ ألفاظ القرآن الكريم قراءة عادية؟ إنكم لم تقرؤوا القرآن قط ولو في أحلامكم. إنكم لا تعلمون منه شيئا، فماذا ستعلّمون الناس. إنكم لن تقدروا على مقاومة مرزا محمود مهما استعنتم بأحد.

سمعَكم وأَنصِتوا، لن تستطيعوا أنتم وشركاؤكم أن تهزموا مرزا محمود حتى يوم القيامة. إن مرزا محمود يملك عِلْم القرآن، فماذا عندكم. هل فيكم أحد يقدر على أن يقرأ ألفاظ القرآن الكريم قراءة عادية؟ إنكم لم تقرؤوا القرآن قط ولو في أحلامكم. إنكم لا تعلمون منه شيئا، فماذا ستعلّمون الناس. إنكم لن تقدروا على مقاومة مرزا محمود مهما استعنتم بأحد.

إن مع مرزا محمود جماعةً مستعدة للتضحية بكل ما تملك من مال ونفس ونفيس بمجرد إشارة واحدة منه. ليس لديكم سوى السباب والكلام البذيء. أفٍّ لكم ولخيانتكم وغدركم!

وكتب أيضا: إن مرزا محمود لديه دعاة ومبلغون وعلماء في تخصصات شتى. لقد نصب رايتَه في جميع بلاد العالم. إني لا أستطيع أن أمتنع عن قول الحق، ولا بد أن أقول إن كنتم تريدون معارضة مرزا محمود فتعلَّموا القرآن أولا، وأعِدُّوا الدعاة، وافتحوا مدرسة عربية، وانشروا دعوة الإسلام في البلاد الأخرى مقابل تبليغهم. أَدَفْعُ الناس لسبّ المرزائيين (الأحمديين) يُعد في نظركم نُبلا ومروءة؟ أهكذا يكون تبليغ دعوة الإسلام؟ كلا، بل هو تشويه لسمعة الإسلام.

وكتبت جريدة «إمروز» الصادرة من لاهور في عددها يوم الثلاثين من مايو عام ١٩٦٦ معلِّقةً على التفسير الصغير لحضرة المصلح الموعود: إن القرآن الحكيم منبع الرشد والهدى للإنسانية كلها، وسيظل هذا الكتاب، الكتاب المبين، إلى يوم القيامة يرشد الناس إلى سبيل الحق والعدل في شؤون دينهم ودنياهم، ويهدي الضالين التائهين إلى الصراط المستقيم. ليت علماء اليوم أيضا يدركون هذه الحقيقية. إن القرآن المجيد دستور الحياة الكامل المكتمل، وليس هناك شعبة من شعب الحياة، أو مرحلة من مراحلها إلا ونستطيع أن نستمد فيها بالقرآن الكريم. ولكن البديهي أن هذا يحتم علينا معرفة معاني القرآن الكريم، إذ ما لم يستوعب الإنسان مفاهيم أحكام الله المذكورة في القرآن في نظام محكم، فكيف ينال منه الرشد والهدى؟ لذا فإن فهم القرآن الكريم ضروري وعندها يعرف المرء ماذا يقول القرآن. ونظرًا إلى هذه الحاجة فقد بدأ تفسير القرآن وشرح مطالبه منذ نزوله، وهذه العملية مستمرة حتى اليوم وستظل إلى يوم القيامة. والذين ساهموا في عملية تفهيم القرآن الكريم لجديرون بالشكر. والجهود التي بذلها المفسرون في عصورهم لنشر ما جاء به القرآن من بصيرة وهدى ستلقى الاستحسان دائما حيث بدأت بها وعلى أسس محكمة ثابتة حركةٌ لتفسير القرآن الكريم ومعرفةِ مطالبه ومعانيه ونشرِها، وستظل مستمرة. والحمد لله.

ثم يقول كاتب المقال في هذه الجريدة: بين يديَّ الآن التفسير الصغير، وهو حصيلة أفكار إمام الجماعة الأحمدية المرحوم الحاج مرزا بشير الدين محمود، وهو يتضمن نص القرآن الكريم في ترجمته الأردية، بالإضافة إلى حواش وملاحظات مفصلة لشرح كثير من الآيات. وإن لغة الترجمة والحواشي بسيطة وسهلة الفهم جدا.

وكتبت جريدة «قنديل» الأسبوعية في عددها الصادر في التاسع

عشر من يونيو عام ١٩٦٦: إن الذوق الرفيع الذي تبديه «أنجمن حماية الإسلام بلاهور، وشركة التاج المحدودة في طباعة المصحف الشريف لجدير بالإشادة والثناء».

ثم كتبت عن التفسير الصغير: إن طباعة التفسير الصغير لإضافةٌ جديدة في هذه المساعي المنعشة للروح. إن هذه الترجمة والتفسير هي من جهود إمام الجماعة الأحمدية مرزا بشير الدين محمود أحمد. ولغة الترجمة والهوامش سهلة الفهم لكي يستفيد منها الجميع مهما كانت درجة علمه وثقافته. لقد تمت هذه الترجمة والتفسير مع مراعاة ما ورد في جميع تفاسير المفسرين القدامى. ونشرُ نص القرآن الكريم في هذه الطبعة الجميلة لخدمة عظيمة للإسلام.

(ولكن المشايخ في باكستان يقولون اليوم إن هذا التفسير فيه تحريف، ولذلك فُرض الحظر عليه. علما أن التفسير الصغير محظور في باكستان، ولا يحق لأحد أن يحتفظ به في بيته، بالرغم من أن المنصفين القدامى منهم قد أقروا بنزاهة هذا التفسير من أي تحريف، واعترفوا بجدارته بالثناء، وأن المرء يمكنه أن يتعلم منه الكثير. ندعو الله تعالى أن يوفق مشايخ هذا العصر أيضا أن ينظروا بالعدل والقسط).

إن المزايا الدينيةَ والأدبيةَ التي حازتها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزية قد تركَتْ أثرا عميقا في كبار أهل العلم في أوروبا وأميركا، فكتبوا عنها تقاريظ جميلة. فمثلا قال عالم يُدعى ايه جيه آربري: إن هذه الترجمة الجديدة للقرآن الكريم وتفسيره عمل عظيم. المجلد الحالي هو بمنزلة المحطة الأولى. (يتحدث عن مجلد وصله قبل ١٥ عاما تقريبا) بدأ العلماء الباحثون الأحمديون في قاديان هذا العمل الجبار وظل جاريا تحت قيادة حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد المشجعة. كان العمل عظيما، حيث كان نص القرآن الكريم يُطبَع ومعه الترجمة الإنكليزية الصحيحة تماما وإلى جانب الترجمة تُفسَّر كل آية.

يضيف المعلّق قائلا: في البداية هناك مقدمة طويلة كتبها حضرة مرزا بشير الدين بنفسه. (ثم أورد الراوي ما ورد في المقدمة بإيجاز)، ولا نكون مبالغين بحال لو أننا قدمنا هذا العمل كعلامة عظيمة على مستوى البحث العلمي في الإسلام. لقد أفادت كتب التفسير واللغة والتاريخ وغيرها الموثوق بها في كل مرحلة من إعداد هذه الترجمة. إن قائمة تلك الكتب طويلة جدا وتترك أثرا عظيما في القراء. يتبين من ذلك أن العاملين على هذه الترجمة والتفسير لم يكتفوا بقراءة جميع التفاسير العربية فقط، بل اطلعوا أيضا على ما كتبه المستشرقون بغرض النقض. ولو ألقينا نظرة على الترجمة فقط فلا بد من القول بأن الترجمة خالية من الأخطاء اللغوية وهي قيمة جدا. لقد رُدّ فيها على المعترضين من غير المسلمين أيضا وتتضمن نقدا مناسبا للأديان الأخرى. قد تبدو أجزاء كثيرة منها للقراءة لغير المسلمين أحادية الجانب وقابلة للاعتراض ولكن يجب أن يكون معلوما أنها أيضا كُتبت بإمحاض النية وهي جديرة بالقراءة بانتباه خاص. ويتبين منها السبب وراء اعتراض المتقين وأهل العلم من المسلمين على تعاليم الأديان الأخرى العادية.

كذلك قال الدكتور تشارلس ايس بريدن، رئيس قسم التاريخ والأدب والأديان في جامعة نورث ويست في أميركا: إن الكتاب في تنضيده وطباعته بلغ مستوى راقيًا جدا ويمكن قراءته بكل سهولة. وبشكل عام إنه إضافة قيمة في الكتب الإسلامية باللغة الإنكليزية، والعالَم كله ممتنّ جدا للجماعة الأحمدية.

وكتبت جريدة مسيحية اسمها «النصر» ما تعريبه: لقد قامت الجماعة الأحمدية بأعمال بارزة في مجال نشر الثقافة الإسلامية في أميركا والقارة الأوروبية. وهذا العمل جارٍ نتيجة إرسال الدعاة باستمرار وبنشر الكتب والإعلانات المختلفة التي بواسطتها تُبيَّن فضائل الإسلام وصدق النبي ﷺ. لقد سررنا كثيرا بمطالعة الترجمة الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم. هذه الترجمة أُعدَّت تحت إشراف إمام الجماعة الأحمدية، حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، وهي تأخذ الألباب، وتَقَرُّ بها أعين القراء. هذه الترجمة القيمة تتضمن أفكارا سامية جدا. فقد وردت فيها الآيات القرآنية في عمود ووردت مقابلها في عمود آخر ترجمة معانيها إلى الإنكليزية ثم ورد التفسير المفصل. يجد القارئ أنه قد رُدّ في هذه التفاسير على اعتراضات المعاندين والمستشرقين ردا مفصلا. يجدر بالذكر أن إمام الجماعة الأحمدية، حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

يجد القارئ أنه قد رُدّ في هذه التفاسير على اعتراضات المعاندين والمستشرقين ردا مفصلا. يجدر بالذكر أن إمام الجماعة الأحمدية، حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد قد كتب سيرة رسول الله ﷺ أيضا إلى جانب هذه الترجمة. وهذه السيرة وهذه الترجمة مُنقطعتا النظير.

قد كتب سيرة رسول الله ﷺ أيضا إلى جانب هذه الترجمة. وهذه السيرة وهذه الترجمة مُنقطعتا النظير.

ثم هناك تعليقات حول التفسير الكبير والتفسير الصغير والتفسير الإنكليزي في خمس مجلدات وسأذكر الآن بعضها.

تعليقات الأغيار من الأدباء على محاضرة «النظام العالمي الجديد»

سأبين الآن كيف أثنى الأغيار على ما قدمه لنا سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه من الكنوز العلمية وكيف وجدوها: هناك خطاب ألقاه حضرته على مسامع الضيوف غير الأحمديين، وقال الأديب المصري المعروف الأستاذ عباس محمود العقاد معلقا على تلك المحاضرة القيمة حين نُشرت ترجمتها الإنكليزية، وذلك في مجلة أدبية معروفة، وهي «الرسالة»: يبدو من مطالعة هذا الخطاب أن صاحبه يوجه النظام العالمي إلى حل مشكلة الفقراء أو مشكلة الثروة وتوزيعها بين أمم العالم وأفراده، وأنه بغير شك على اطلاع واف ومحيط بالأنظمة الحديثة التي عولجت بها هذه المشكلة، وهي نظام الفاشية ونظام النازية ونظام الشيوعية، وبعض النظم الديموقراطية.

أقول: لم يكتب المعلّق هذا الكلام دون سبب، بل الحق أن حضرته رضي الله عنه كان مطلعا اطلاعا شاملا وعميقا على كافة هذه النُظم الجديدة.

يستأنف المعلق كلامه قائلا: ولكنه يعتقد بحق أن المشكلة لا تحل على أيدي الساسة وزعماء الأحزاب والحكومات، وأنه لا مناص من القوة الروحية في حل أمثال هذه المشكلات، لأن الحل الشامل لكل مشكلة إنسانية عامة يتناول الناس كلهم. ولا يهمل فيه الباعث الأكبر على الطمأنينة والحماسة للخير والصلاح، هو باعث العقيدة والإيمان.

ثم عرض للأديان الكبرى القائمة في الهند خاصة، والعالم عامة، من حيث علاقتها بهذه المشكلة وتدبير الحلول التي تزود العالم بنظام أفضل من نظامه المغضوب عليه، فأتى بالأدلة الكثيرة على انفراد الإسلام بينها بمزية الإصلاح وتعميمه بين جميع الأجناس والطبقات فيما مضى وفي هذا الزمان. (لأن من واجبهم أيضا أن يوجدوا حلّا لهذه المشكلة ويزيلوا هذه المصيبة. ثم يقول بأن المؤلف قدّم أدلة كثيرة على أن الأديان الأخرى لا تستطيع أن تقدم شيئا في هذا المجال وإن قدّموا نظاما بهذا الشأن إن كان لديهم نظام أصلا. ثم يقول بأن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على حل هذه المشاكل. وكان بإمكان الناس والأقوام كلهم أن يعملوا به من قبل ويمكنهم العمل به في العصر الحاضر أيضا)

ثم ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد خلاصة الخطاب إجمالا وقال: ولم يقصر المؤلف أو صاحب الخطاب مقابلاته ومقارناته على العقائد الدينية التي أجملنا الإشارة إليها فيما أسلفناه، (لقد أورد المعلق تفاصيل القضية ولكنني لم أقرأها) ولكنه خصها بالعناية لأن العقيدة كما قال هي أمل الإصلاح الوحيد، ونظر معها إلى النظم السياسية أو الاجتماعية فإذا هي قاصرة عن بغيتها من الوجهة العملية والوجهة الروحية على السواء.

(ثم أورد ملخص محاضرة «النظام الجديد» التي تطرقت إلى الحديث عن النظم السياسية والاشتراكية) ثم قال عنها: ونحسبها صيحة لا تذهب في الهواء، إذ انتشرت بين قراء الإنكليزية الأوربيين والأمريكيين بل الهنود والشرقيين.

تعليقات على محاضرة «بداية الخلافات في الإسلام»

هناك محاضرة بعنوان «بداية الخلافات في الإسلام» ألقاها حضرته ﷺ في جلسة «جمعية التاريخ الحديث» بالكلية الإسلامية في لاهور. وكانت محاضرة علمية تدل على إحاطة المحاضر الشاملة بتاريخ الإسلام بحيث إن المؤرخين الكبار أيضا كانوا يرون أنفسهم طلابًا في المدارس أمامه.

يتلخص بحث حضرته في إثبات براءة عثمان والصحابة الآخرين ﷺ من كل نوع من الفتنة والعيب. بل كان سلوكهم مظهرًا للأخلاق السامية وكانت أقدامهم راسخة على مراقي الحسنة، وأنه لم يكن لدى الصحابة أي اعتراض على خلافة عثمان ﷺ بل ظلوا أوفياء له إلى آخر الأمر، وأن اتهام علي وطلحة والزبير ﷺ بحياكة المكايد باطل تمامًا، وأن التهمة التي تلصق بالأنصار من أنهم كانوا ساخطين على عثمان ﷺ أيضا باطلة لأننا نرى أن جميع زعماء الأنصار بذلوا مسعًى حثيثا لدرء هذه الفتنة.

لقد عبّر بعض الأغيار عن انطباعاتهم حول هذه المحاضرة، فقد كتب سيد عبد القادر البروفيسور في الكلية الإسلامية بلاهور: إن اسم ابن جليل لأب جليل أي اسم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد يعطي ضمانًا كافيا أن هذه المحاضرة علمية جدًّا. إن لي إلمامًا بالتاريخ الإنساني، وأدَّعي بكل ثقة أن هناك قلة قليلة من المؤرخين –سواء المسلمين أو غيرهم– الذين استطاعوا بلوغ كنه الخلافات في عهد عثمان ﷺ ونجحوا في فهم أسباب هذه الحرب الأهلية الأولى والمهلكة. أما حضرة المرزا فلم ينجح فقط في فهم أسباب هذه الحرب الأهلية بل ذكر في بيان واضح ومتسلسل تلك الأحداث التي ظلت عاصمة الخلافة متزلزلة جراءها. أرى أن الراغبين في قراءة التاريخ الإسلامي لم يطلعوا قبل اليوم على مثل هذا المقال المدعَّم بالأدلة. بل الحق أنه كلما اطلعنا في كتب التاريخ الإسلامي الحقيقي على عهد عثمان ﷺ شعرنا أن هذا المقال عظيم يحتوي على دروس وعبر كثيرة.

هناك تعليقات أخرى ولكن ليس هناك وقت لسردها.

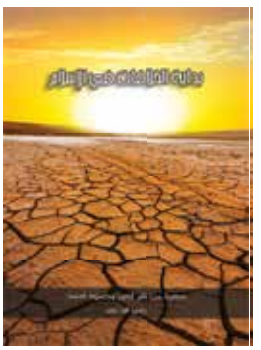

قم بمسح QR لقراءة الكتاب

مضمون محاضرة «نظام الاقتصاد في الإسلام» وأصداؤها ونبوءاتها

هناك خطاب آخر لحضرة المصلح الموعود ﷺ بعنوان: نظام الاقتصاد في الإسلام، وقد أُلقي في مدينة الطلاب الأحمدية بلاهور واستمر لحوالي ساعتين ونصف، وحضره علاوة على الأحمديين مئات بل وآلاف –كما ورد في بعض الأماكن– من وجهاء المسلمين وغير المسلمين وكانت أكثريتهم من المتعلمين والمثقفين ثقافة عليا وبروفيسورات من جامعة البنجاب وطلابها. ظل أكثر البروفيسورات والمحامين وأهل العلم الآخرين، طوال مدة إلقاء هذا الخطاب يلتقطون دُرَرَه، مسجلين عندهم نقاطًا هامة واردة فيه.

يقول المصلح الموعود ﷺ وهو يذكر لب موضوع نظام الاقتصاد في الإسلام: الاقتصاد الإسلاميّ نتاج امتزاج مناسبٍ بين الحريّة الفردية والتدخّل الحكومي، (أي أن تكون هناك حرية فردية مع تدخّل حكومي بشكل يظهر اختلاطًا وتعاونًا مناسبًا بينهما) أي أنّ الاقتصاد الذي يقدّمه الإسلام للعالم له ناحيتان، ناحيةٌ تسمح بتدخّلٍ حكوميّ محدود، وأخرى تتضمّن الحرية الفردية إلى مدى معلوم. فالمزيج المناسب لهاتين الناحيتين هو الاقتصاد الإسلامي بعينه. والحرية الفردية إنما هي ليتيح للناس أن يجمعوا لهم زاد الآخرة، وتنشّط فيهم روح الاستباق والتّنافس؛ (أي ليس هذا للدنيا فحسب بل ليستمر التسابق في الخيرات أيضا) والتدّخل الحكوميّ إنّما هو لكيلا يتمكّن الأغنياء من القضاء على إخوانهم الفقراء اقتصاديًّا، كأنّ الاهتمام بالتدخّل الحكوميّ هو من أجل

إنقاذ البشرية من الانهيار، أمّا الحريّة الفردية فهي لأجل المحافظة على روح التسابق والتزوّد للآخرة، وبدلا من القضاء على الحرية الفردية تم الحفاظ عليها بشكل كامل.

فالإسلام يتضمّن المحافظة على الحرية الفردية لكي يتمكّن الإنسان بخدماته التطّوعيّة من التزوّد للحياة المقبلة وتقوى فيه روح التسابق التي لا تزال توسع له مجال التطوّر العقليّ، وهو أيضًا يبيح التدخّل الحكوميّ المحدود، لكيلا يتأسّس الاقتصاد على الجور والاستبداد جراء الضعف الفردي، ولا يصير حائلاً دون شعبٍ من شعوب بني نوع الإنسان.

وفي القسم الثاني من خطابه استعرض حضرته الحركة الشيوعية استعراضًا تفصيليا من الناحية الدينية والاقتصادية والسياسية والنظرية والعملية. وفي الأخير قرأ بالأردية نص النبوءة العظيمة الواردة في الكتاب المقدس والمتعلقة بالشيوعية، كما ذكر نبوءات المسيح الموعود عليه السلام ونبوءاته هو أيضا.

خلاصة القول أن هذه المحاضرة للمصلح الموعود رضي الله عنه قد أحدثت ضجة في الأوساط العلمية، وحققت بفضل الله تعالى نجاحًا غير عادي على كافة الأصعدة. لقد استمع لها الحضور بكل شغف ولهفة وظلوا جالسين طيلة مدة إلقائها وكأن على رؤوسهم الطير، مع العلم أن هذه المحاضرة استمرت لساعتين ونصف. بكى أحد البروفيسورات بعد استماعه لها، كما أعرب بعض الطلاب المؤيدين للشيوعية عن فكرة أنهم أصبحوا مقتنعين بالاشتراكية الإسلامية وصاروا يرونها النهج الصحيح والحق.

وأعرب بعض طلاب قسم الاقتصاد عن رغبتهم في طباعة الترجمة الإنجليزية لخطاب حضرته وإرسالها إلى بروفيسورات قسم الاقتصاد بالجامعة. وذلك لأن أكثر البروفيسورات كانوا من الإنجليز في ظل الحكومة الإنكليزية آنذاك. وقالوا: بينما يتم اقتراح مخططات مختلفة لتنمية ورفاهية الهند في المستقبل، فإن هذا النظام الإسلامي الذي قدمه حضرته سيمثل وجهة نظر المسلمين.

لقد رأس حفل هذه المحاضرة لاله رامجندر مجنده المحامي في المحكمة العليا بلاهور، فألقى بعد محاضرة حضرته كلمة مختصرة قال فيها: «إنني أعدّ نفسي سعيد الحظ أيما سعادة! إذ قد تسنَّى لي الاستماع لهذا الخطاب القيم، ويسرّني أن حركة الأحمدية تتقدم وتزدهر كثيرا. الخطاب الذي سمعتموه الآن، قد بيَّن فيه حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية أمورا جديدة وقيِّمة جدا، قد استفدتُ كثيرا منه، وأعتقد أنكم أيضا انتفعتم من هذه المعلومات القيمة. ومما أسعدني في هذا الأمر أن غير المسلمين أيضا حضروا هذه الجلسةَ بجانب المسلمين.»

ثم يقول: «كنتُ أظن أن الإسلام في قوانينه يهتم بالمسلمين فقط ولا يراعي غير المسلمين ولكن اليوم علمتُ من خطاب إمام الجماعة الأحمدية أن الإسلام يعلّم المساواة بين جميع البشر، وإنني فرح جدا بسماع ذلك. وسوف أقول لأصدقائي غير المسلمين ما المشكلة في إعطائكم مثل هذا الإسلام تقديرًا واحتراما. الجديَّة والهدوء الذي سمعتم بهما خطابَ حضرته لساعتَين ونصف لو رأى ذلك شخصٌ أوروبي لاستغرب أن الهند قد ترقّت لهذا الحد!؟»

يقول مَن سجل هذه التعليقات أنه كانت على لسان أكثر الذين استمعوا لهذه المحاضرة كلمات الثناء، بل واعترفت طائفة كبيرة منهم بأنهم وإن كانوا يختلفون مع مرزا بشير الدين محمود أحمد من الناحية العقدية، إلا أنهم لا يسعهم إنكار حقيقة أن حضرته أفضل علماء الهند في هذا العصر.

وهذه كانت الحقيقة، إذ لم يتم الكشف عن الحقائق والمعارف القرآنية المتعلقة بعلم الاقتصاد وتقديم الردّ على الفلسفة الاقتصادية الأوروبية بشكل يجبر منكري الإسلام أيضا على الإقرار بأفضلية نظام الاقتصاد الذي يقدمه، ويجبر أنصار الاشتراكية على الاعتراف بعيوبها، إلا من خلال حضرته.

فقال المولوي شير علي ﷺ: لقد سمعت بعد الخطاب بعض الشباب غير الأحمديين يتحدثون فيما بينهم قائلين: إنكم إذا أيّدتم الاشتراكية أو الاشتراكيين بعد الآن فعليكم اللعنة. كذلك كان هناك بروفيسور يجهش بالبكاء من شدة التأثر بهذا البيان. وفي نهاية الخطاب أبدى الدكاترة غير الأحمديين والطلاب رغبتهم في أن يلقي حضرته خطابا آخر، إذ لم يتمكن، بسبب ضيق الوقت، من تغطية جميع جوانب الموضوع في خطابه هذا، لذا نرجو أن يلقي خطابا آخر يوضح فيها باقي جوانبه لكي يرتوي الناس من فيض العلوم التي وهبها الله تعالى له.

كان حضرته قد مُلئ بالعلوم الظاهرة والباطنة. قال السيد عبد القادر الحائز على شهادة الماجستير وكان نائب العميد للكلية الإسلامية بلاهور ورئيس قسم التاريخ. كتب مقالا حول موضوع «الإسلام والاشتراكية» في جريدة «Sunrise» (طلوع الشمس) الصادرة من لاهور، كتب فيه: لقد تشرفتُ بسماع محاضرة السيد مرزا بشير الدين محمود أحمد إمام الجماعة الأحمدية حول موضوع «نظام الاقتصاد في الإسلام». كانت هذه المحاضرة أيضا كباقي محاضراته –التي تسنى لي سماعها– منوِّرة لأفكار العلماء ومليئة بالمعلومات. يملك السيد مرزا ملكات موهوبة من الله، وكان ضليعًا بشكل كامل في كل جانب للموضوع، مع أنه ليس بحائز على أي شهادة ولم يقم بدراسة وتحقيق بل الله تعالى علمه، لذا تستحق أفكاره أن نقدّرها ونتوجه إليها.

ثم تُرجم هذا الخطاب إلى مختلف اللغات، وقد أشاد به الإعلام الأجنبي والفئات المثقفة بعد قراءة تراجمه. السيد رئيس المحكمة العليا في إسبانيا «ايس وائي سي جوسن كاستن» بعد قراءته الترجمة إلى المولوي كرم إلهي ظفر. إنني أشكركم جزيل الشكر على رسالتكم التي كان معها أجمل كتاب قرأته فأثّر في طبيعتي تأثيرا رائعا وعظيما، وإنني أؤكد لك أن الله تعالى سيكتب لك نجاحا عظيما في إسبانيا وغيرها. إنه كتاب ممتع للغاية عن الظروف الحالية.

ثم كتبت جريدة «روشني» الصادر من «سرينغر» في الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩٦٥ عن وفاة حضرة المصلح الموعود ﷺ: تحت عنوان وفاة مرزا بشير الدين محمود أحمد الرئيس الأول للجنة كشمير في الهند كلها:

كان المرحوم عالما جيدا ومفكرا، لم يكن له مثيل في الخطابة، حتى الخطابات التي ألقاها في جلسة واحدة حول المواضيع الدقيقة مثل نظام الاقتصاد في الإسلام والنظام الجديد للإسلام قد نُشرت في صورة كتب ولقيت قبولا عاما. ويمكن تقدير كونه عالما فاضلا من أن السير ظفر الله خان رئيس المحكمة الدولية أيضا من أتباعه. وبكلماته هو: إن شخصيته جامعة لصفات حسنة يندر وجودها في شخص واحد. وهو منبع العلوم الظاهرة والباطنة. (يعترف غير الأحمديين أيضا أن حضرته كان مليئا بالعلوم الظاهرة والباطنة) كان فارس ميادين الفكر والعمل على حد سواء، والجزء الكبير من حياته يمضي في الذكر والفكر ومع ذلك هو قائد جريء ومن أولي العزم. ثم كتب: إن كل كشميري يمدح جناب مرزا بشير الدين محمود أحمد من قلبه، لأن له دورا كبيرا في حركة تحرير كشمير. وفي ١٩٣١ حين بدأت حركة كشمير فكان هو أول رئيس للجنة كشمير في الهند كله، ونتيجة جهوده هو بلغت هذه الحركة منتهاها وذاع صيتها في العالم كله.

ثم مؤتمر ويمبلي معروف جدا في تاريخ الجماعة، وقُرئ فيه مقال حضرته الذي أبدى عنه الناس انطباعاتهم. منها ما قاله رئيس المؤتمر بعد انتهاء الخطاب مظهرًا انطباعاته:

«لست بحاجة إلى الكلام الكثير لأن المقال نفسه يعرّف على

لقد تشرفتُ بسماع محاضرة السيد مرزا بشير الدين محمود أحمد إمام الجماعة الأحمدية حول موضوع «نظام الاقتصاد في الإسلام والاشتراكية». كانت هذه المحاضرة أيضا كباقي محاضراته -التي تسنى لي سماعها- منوِّرة لأفكار العلماء ومليئة بالمعلومات. يملك السيد مرزا ملكات موهوبة من الله، وكان ضليعًا بشكل كامل في كل جانب للموضوع، مع أنه ليس بحائز على أي شهادة ولم يقم بدراسة وتحقيق بل الله تعالى علمه، لذا تستحق أفكاره أن نقدّرها ونتوجه إليها.

مزاياه ولطافته. (هذا شخص إنجليزي) وإنني أشكر حضرته باسمي ونيابة عن الحضور كلهم أيضا على محاضرته الرائعة وعلى حسن ترتيبها وسمو أفكارها وطريقة الاستدلال الواردة فيها. إن وجوه الحضور بلسان حالها توافقني على كلماتي، وإنني على يقين أنها تؤكد كوني على حقّ في أداء الشكر لحضرته نيابة عنهم.» ثم خاطب حضرتَه وقال: «إنني أبارك لك على نجاح محاضرتك وأقول إن مقالك كان أروع ما يكون من بين المقالات التي قرئت اليوم.»

ورد في التقرير عن المؤتمر أنه جاء شخص إلى حضرته وقال: «لقد عملت في الهند ثلاثين عامًا ودرست أحوال المسلمين وأدلة الإسلام لأنني عشت في الهند كمبشر مسيحي، ولكني لم أسمع في أي مكان عن الإسلام مثل هذه المزايا والوضوح والروعة كما عرضتَه اليوم في مقالك. لقد أثر هذا المقال فيّ تأثيرًا عميقًا من ناحية الأفكار وترتيبها ومن ناحية الأدلة الواردة فيه.»

وهناك انطباعات كثيرة أخرى، وعدد مقالات حضرته وخطاباته أيضا كبير كما ذكرت في البداية وإنما ذكرتُ بعض النماذج فقط. وأقدم مقتبسا آخر من جريدة فتى العرب الصادرة من دمشق. في ١٩٢٤ حين زار حضرة الخليفة الثاني ﷺ أوروبا ففي الطريق نزل في البلاد العربية أيضا، وفي أثناء ذلك نشرت الصحف العربية أيضا بعض الانطباعات عن حضرته، فكتبت جريدة «فتى العرب» من دمشق في العاشر من أغسطس/آب ١٩٢٤: هذا الخليفة في الأربعين من عمره، ولديه لحية سوداء عريضة. وهو حنطي الوجه، والمجد والكرامة تعمُّ وجهه. وكلتا عينيه توحي عن ذكائه وفطنته ومعرفته وحكمته غير العادية. إذا رأيت هذه القدرات العقلية في وجهه وهو يقف مرتديًا عمامته البيضاء، فستقتنع أنك أمام شخص يفهمك قبل أن تعرف ذلك. وهو يراك بعينيه والبسمة تدوم على شفتيه. ثم قال عن حضرته: والبسمة التي تدوم على شفتيه تظهر أحيانا وتختفي أحيانا ولكنها تبقى على شفتيه دوما، ثم كتب مخاطبا القراء: لو لاحظتم هذه الكيفية لاستغربتم المعاني والجلال وراء هذه البسمة.

وهناك انطباعات مماثلة كثيرة لغير الأحمديين الذين وجدوا فرصة قليلة أو كثيرة للبقاء في صحبة حضرته ﷺ. كانت المادة غزيرة التي كنتُ أمرت بجمعها ولكنني قدمتُ جزءا منها بسبب ضيق الوقت، وذلك أيضا بإيجاز شديد تاركا منه الكثير. والأمور التي بينها المسيح الموعود عليه السلام في النبوءة والأحرى أن نقول التي أنبأ بها الله تعالى قد تحققت في وجود حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ والعلم والمعرفة اللذان وهبهما الله تعالى له لم يكن أي من كبار العلماء يستطيع مبارزته فيهما، والأدبيات التي تركها هي خزينة الجماعة، ولقد نُشرت معظم خطبه وخطاباته ومقالاته وبقي قليل منها. علينا أن نقرأها، والآن تترجم بسرعة وسوف تتهيأ عما قريب إن شاء الله، وتمت ترجمتها باللغة الإنجليزية إلى حد كبير، أعني نُشر بعض الكتيبات الصغيرة. ندعو الله تعالى أن يوفقنا للاستفادة من هذا العلم والمعرفة. (آمين)

حقيقة تعليم الله الإنسان بالقلم

قبس من الفتوحات الربانية على المصلح الموعود في بيان الدقائق القرآنية

صنفان من العلم

العلم علمان، لَدُنّي وتحصيلي، أما العلم اللدُني فهو الذي يؤتاه المرءُ هبةً من الله لصلاح علِمهُ فيه ووظيفة يوظفه إياها حتى يكون هذا العلم معينا له عليها، بشرط أن يكون الموهوب قد نذر حياته وباع نفسه لله وخدمة دينه وخلع عباءة الدنيا ومطامعها عن نفسه تماما، وأسلم وجهه لله وكان من المحسنين.

وأما العلم التحصيلي فهو الذي يناله المرء بسعيه واطّلاعه ومدارسته ووعيه، فاسدا كان أو صالحا، والفرق بينهما أن التحصيليّ ظنيٌّ، لأنه من اجتهاد بشرٍ يصيب ويخطئ، أما اللدنيّ فيقينيٌّ لأنه من لدن عليم خبيرٍ، وعلامة العلم اللدني أن يدّعي صاحبه أنه من الله، ثم تحالفه التأييدات ولا يصيبه مكروه يمكن لأحد معه القول بأنه انتقام إلهي، على شاكلة الأخذ باليمين وقطع الوتين، ثم يكون علما إصلاحيا يحقق النماء والمصالحة والتقارب بين العباد والمعبود من جهة وبين العباد وبعضهم البعض من جهة أخرى، وهذا العلم ثابتٌ عبر التاريخ وله ألف مثال ومثال بعدد ما أرسل الله من المرسلين، بل ومن بعض عباده الصالحين، وقد يكون هذا العلم عَلَما عليهم وعلامة لهم أنَّ هؤلاء من عباد الله الصالحين، خصوصا إذا كان الناس يرونهم كاذبين مدّعين، فأوتي آدم هذا الصنف من العلوم، وعلمه الله الأسماء كلها وصولا إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد خصَّه الله بجوامع الكلم، وقد

مصر

حلمي مرمر

وقد تجلّى هذا النفَس المسيحيّ والعلم اللدنيّ فيما تركه حضرته من آثار علمية تفوق قدرات البشر والعلماء التحصيليين بشكل ملموس، فهو في منظور العالم من الأميين الذين لم يتتلمذوا التلمذة المنهجية، ولم يدرسوا الدراسة الأكاديمية، وليس من حملة الشهادات العالية من الجامعات العالمية، ومع ذلك فقد بلغ من الدقائق العلمية والنكات القرآنية ما لم يبلغه من تناولوا القرآن الكريم بالشرح والتفسير عبر تاريخ الإسلام وحتى اليوم...

صرح القرآن الكريم بأن الله علّم أحد عباده من لدنه علما وأمر أحد أولي العزم من الرسل باتباعه والتتلمذ على يديه، وهو ما أصبح مفهوما من قصة لقاء موسى بالعبد الصالح، والتي تعلمناها في سياق تفسير سورة الكهف.

معنى تعليم الله الإنسان بِالْقَلَم

وخزائن علم الله لا تنفد، وآلَ محمد والصالحون من الناس الذين يتلقون هذه العلوم باقون إلى قيام الساعة، وصفات الله وأسماؤه ساريةٌ لا تنقطع، فهذا هو ماء السماء الذي يحيي أرض القلوب التي أمحلت وأجدبت، فهو الله العليم لا يزال، ونحن الفقراء إلى علمه لا نزال أيضا.

ولكل زمان يصطفي الله من عباده من ينزل عليهم علمه ويرسلهم مصلحين لما فسد من أفكار الناس وعقائدهم، ومن هؤلاء في زماننا هذا حضرة المسيح الموعود عليه السلام والمصلح الموعود مرزا بشير الدين محمود رضي الله عنه الذي هو منه، وقد تنبأ عنه أنه سيهبه الله نفَسا مسيحيا، أي أنه سيكون ذا صلة متينة بمسيح الزمان، وسوف يكون له نصيبٌ من علمه اللدنيّ، وكأنه صورةٌ مصغرة منه، وقد تجلّى هذا النفَس المسيحيّ والعلم اللدنيّ فيما تركه حضرته من آثار علمية تفوق قدرات البشر والعلماء التحصيليين بشكل ملموس، فهو في منظور العالم من الأميين الذين لم يتتلمذوا التلمذة المنهجية، ولم يدرسوا الدراسة الأكاديمية، وليس من حملة الشهادات العالية من الجامعات العالمية، ومع ذلك فقد بلغ من الدقائق العلمية والنكات القرآنية ما لم يبلغه من تناولوا القرآن الكريم بالشرح والتفسير عبر تاريخ الإسلام وحتى اليوم، وهذا ظاهرٌ لكل من يطالع آثاره التفسيرية في كثير من المصادر التي تركها وأبرزها سِفره العظيم المسمى: التفسير الكبير، ونتناول هنا ـ كمثال ـ على العلم اللدنّي جانبا من تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [1]، في سياق تفسير سورة العلق من المجلد التاسع من التفسير المذكور، حيث قدّم حضرته طرحا فريدا لم يطرحه قبله من المفسرين أحد يقينا، فقد طالعتُ جُلّ التفاسير القرآنية لعقد مقارنة بين المفهوم الذي قدمه حضرته لهذه الآية والمفهوم الذي قدمه السادة الأجلاء الآخرون الذين تعرّضوا للقرآن الكريم بالشرح والتفهيم، فلم أجد تقديما خيرا مما قدّمه، ولا تعليما كالذي علّمه، ولا أقول هذا الكلام انحيازا لما هو مني وما أنا منه، بل تلك حقيقة ملموسة، ومن أراد أن يتبين صدق هذا فله ما أراد، أما السادة الأجلاء من المفسرين التقليديين فلم يتجاوز مفهومهم لهذه الآية ظاهر المعنى، ولم تكن تعني عندهم إلا أن الله علّم الناس الكتابة لتقييد العلم وحفظه في صُحف ومخطوطات حفظا له من خيانة الذاكرة، حتى إنهم ينسبون إلى الله كل ما خط قلم، وكل ما تعلم الناس من علوم

مكتوبة، صالحةً كانت أم طالحة، أما حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه فقد تعامل مع الآية تعاملَ الغواص الماهر الذي يُبحر في الأعماق باحثا عن اللآلئ الثمينة، ولا يقنع بصيدٍ يسير فضلا عن الزبَد، ولعلنا نخرج مما قال حضرته بقبس نشير إليه في هذه العجالة، ومنه ما يلي:

١. ليس كل ما تعلّمه الناس بالقلم نزعم أنه من تعليم الله لأنه يحوي الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والوفاء والغدر، وكثيرا من الخداع والافتراء، ومن أهل القلم من يشيع الشرك والإلحاد ونكران الذات العلية، فكيف ننسب هذا إلى تعليم الله بالقلم؟ كما وأنه من الخطأ الفاحش نسبة تعليم النقائص والمعايب إلى الله القدوس.

٢. ليس معنى ورود الفعل: «علَّم» بصيغة الماضي أن تعليم الله بالقلم يخصّ الماضي ولا يتجاوزه، بل إن القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل الماضي للتأكيد على حصوله في الاستقبال أيضا، كما قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (٣)، فالمستعجَل لم يأت بعد، لكن الله يؤكد أنه لا محالة واقع كأنه قد وقع، فجاء الفعل «أتى» بصيغة الماضي ليمحو أي شك في وقوعه، كذلك عندما قال أنه ﴿... عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فإنه يفيد أنه سيعلم بالقلم مستقبلا أيضا، لكن المستقبَل عنده في حكم الماضي، ويخصّ الله فيما يخصّ هنا تعليم القرآن الكريم، فيقول أنه سوف يحفظ القرآن الكريم بالقلم كما لم يُحفَظ كتابٌ من قبل، وقد اعترف بهذا أعداء الإسلام قبل أتباعه، وسوف يعلّم الناس علوم القرآن الكريم ومعارفه، وأنه سوف يسخّر أقلامهم لخدمته، وقد تحقق هذا بكل جلاء، فلم يُكتب كتاب في العالم كما كُتب القرآن الكريم، ومن هذا نخلص إلى أن نبوءة تعليم الله بالقلم كانت تشير في المقام الأول إلى حفظ القرآن الكريم بحفظ الله، وتدوينه فور نزوله، وعدم اندثاره وتحريفه وتبديله كما كان شأن الكتب السماوية السابقة، وسوف يعلِّم بنفسه سبحانه علومَ هذا الكتاب لمن يرتضيه من الصالحين، ليكونوا سفراء إلى الناس.

٣. معنى أن الله حفظ القرآن الكريم وعلومه بالقلم، أن هذا القرآن سيكون منبع جميع العلوم التي تكون الإنسانية في أمسّ الحاجة إليها، كالتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والفقه والفلسفة والاقتصاد والسياسة والعمارة والزخرفة، حتى الموسيقى التي تعلموها من ترتيل القرآن الكريم وأحكام تجويده، ومنها تنكشف على الناس حقائق القرآن الكريم وعظمته، ولهذا صار للمسلمين مننٌ عظيمة على العالم كله، إذ فتحوا عليهم أبواب كل تلك العلوم وأسسوا لها ثم انطلق العالم كله من تلك الأسس، وقد اعترف الشرفاء من علماء الغرب بهذه الحقيقة، ولولا القرآن والإسلام ما كان للعرب ذكر في العالمين، فقد كانوا قبل القرآن أمة منسية مغمورة، وصاروا بعده معلّمي العالم، كل هذا يخبر به قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وقد أثبت التاريخ أنه في الوقت الذي نزل فيه القرآن وذاع وانتشر لم يكن لدى أوربا شيء من العلوم والفنون، وقد انتقلت إليهم من المسلمين في إسبانيا والشام والجزيرة العربية، وهذا ثابت تاريخيا وليس نوعا من التحيز للعرق والدين.

إن كل الأقلام التي سخرها الله تعالى لحفظ القرآن الكريم وعلومه حتى خدمت البشرية في كافة المناحي لهي مصداق لتعليم الله بالقلم، لدرجة أننا نزعم أن كل العلوم التي تشع بها أوربا اليوم إنما كانت ثمرة قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، ولولا القرآن الكريم لظل العالَم يتخبط في متاهات الجَهل والوحشية، فجاء القرآن الكريم وأخرجهم - بحق - من الظلمات إلى النور وعلَمهم ما لم يكونوا يعلمون.

الهوامش:

١. (العلق: ٥)

٢. انظر: مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، ٣. مجلد ٩، ص ٣٧٤-٣٧٧

٤. (النحل ٢)

إلى حوريّتي العنقاء..
المغروزة كسيف عمر..
في خاصرة البحر..

أسعد موسى عودة

الكبابير \ حيفا \ ١٧\ كانون الأوّل\ ٢٠٢٣

سماءُ النّاسِ أدنى من سَماكِ
وكُلُّ الأرضِ أضيقُ من فَضاكِ
أيا فجرًا أضاءَ اللّيْلَ عَدْلًا
ويا عصرَ الصّلاةِ على التّباكِ
ويا رملًا يشدُّ البحرَ أرضًا
ويا أرضًا تروّتْ من دِماكِ
ويا بحرًا يتيهُ النّاسُ فيهِ
يُذيقُ الظُّلمَ أنواعَ الهلاكِ

أيا مَن صِرتِ مُلهِمةَ البرايا
وإسْمُكِ باتَ محرابَ النُّسَاكِ [١]
قَضَيْتِ شهادةً وسُمُوَّ روحٍ
لتَحْيَي فَوْقَ آفاقِ السّماكِ

أيا سيفًا وأُصْلِتَ [٢] من زمانٍ
على أعناقِ مَن جاسُوا [٣] حِماكِ
ويا أنشودتي السّمراءَ جودي
على روحِ الحَيارى من هُداكِ

ويا محبوبتي الأحلى أفيضي
على قلبي المكلَّمِ [٤] من دواكِ

أيا حوريّتي العنقاءَ حِيكي
على مَهَلٍ شِباكَكِ في شِباكي
لِأنّكِ حالةٌ للطُّهْرِ، أَوْلى
صلاةُ النّاسِ كُلِّهِمُ وراكِ

أيا أسطورةَ الوعي استخيري
وقودي من رَماكِ كَمن فَداكِ
فإنّك في جبينِ الخُلْقِ عَفوٌ
وسِلْمٌ من تُقاكِ ومن غِناكِ
سألتُ اللهَ أن تَبقَي ونبقى
نسيرُ على خُطاكِ إلى عُلاكِ

١. أصلها النُّسَّاك؛ وقد خُفّفت سينها لضرورة الشّعر.
٢. أُصلِتَ السَّيفُ: جُرّد من غِمدِه وأُشهِر.
٣. جاسَ: دار وتردّد وأفسد.
٤. المكلَّم: المجرَّح.

جَمَاعَةُ المُؤْمِنِينَ وَنَظَرِيَّةُ شَجَرَةِ الفَاكِهَةِ

مصر

سامح مصطفى

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].. هذا الحديث النبوي الشريف يشير إلى حقيقة روحانية أصيلة، مفادها أن الناس بطبيعتهم متفاوتون، ليس فقط في الشكل وسائر الصفات الجسمانية، بل وحتى في درجات الفهم والإدراك ومستويات الذكاء العقلي والروحاني.. قد بين النبي ﷺ في هذا الحديث الموجز قضية اجتماعية دقيقة وغاية في الخطورة، مفادها أن التفاوت في المقدرات سنة ثابتة، وعلى أفراد المجتمع التعامل فيما بينهم بمقتضاها. والتفاوت بين الناس عموما، وبين أفراد جماعة المؤمنين على وجه الخصوص، إذ ينظر إليه البعض بعين الاستهجان، إلا أنه في حقيقة الأمر ينطوي على حكمة إلهية بالغة، وهذه الحكمة نراها حولنا في كل مظاهر حياتنا، فحتى أصابع اليد الواحدة لا يمكن أن تكون بنفس الطول، بل إن تساويها في الطول يُعد عيبا خَلقيًّا.

ماذا عن نظرية شجرة الفاكهة

في واقع الأمر لا توجد نظرية بهذا الاسم، ولكنها فكرة مستقاة

فمن معاني العقل «الربط» وإيجاد علاقة المماثلة، وهنا نرى أن جماعة المؤمنين تماثل شجرة الفاكهة في هذا المقام، ولولا هذا التفاوت البين في المستويات الروحانية لما كان هناك معنى للدعوة إلى التسابق والتنافس الشريف .... فالتنافس الشريف في حد ذاته دليل على وجود التفاوت في المستوى الروحاني، وأن بعض المؤمنين يفوقون في روحانيتهم البعض الآخر، بحيث يغبطهم من هم أدنى منهم، فيسعون إلى بلوغ درجتهم..

من الواقع واستدعاها عقل الكاتب ليسقطها على أفراد أي مجتمع بشكل عام، أو أعضاء أية مجموعة، أو جماعة المؤمنين بشكل خاص. بحسب تلك النظرية يمكن تشبيه أفراد الجماعة بثمرات فاكهة من نفس الشجرة. ومعلوم، لا سيما للخبراء في مجال البستنة، أن ثمرات الشجرة الواحدة لا تتساوى أبدا في درجة الحلاوة، وإنما المعهود أن الثمار العلوية أحلى مذاقا من الثمار السفلية، وكلما اتجه القاطف إلى قمة الشجرة حظي بثمار أحلى وأشهى، حتى إن قرود الغاب تنبهت بغريزتها إلى تلك الحقيقة.. وتفاوت ثمرات الشجرة الواحدة، ناهيك عن ثمار البستان ككل، في الطعم، جاء على الرغم من أنها تُسقى بماء واحد، إلا أننا نفضل بعضها على بعض في الأُكُل، يقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].. وحث الله تعالى إيانا على عقل هذا الأمر يدفعنا إلى ربطه بالواقع الاجتماعي،

فمن معاني العقل «الربط» وإيجاد علاقة المماثلة، وهنا نرى أن جماعة المؤمنين تماثل شجرة الفاكهة في هذا المقام، ولولا هذا التفاوت البين في المستويات الروحانية لما كان هناك معنى للدعوة إلى التسابق والتنافس الشريف المذكور في القرآن الكريم غير مرة، إذ يقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٣] ، ويقول أيضا: ﴿... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٤]، فالتنافس الشريف في حد ذاته دليل على وجود التفاوت في المستوى الروحاني، وأن بعض المؤمنين يفوقون في روحانيتهم البعض الآخر، بحيث يغبطهم من هم أدنى منهم، فيسعون إلى بلوغ درجتهم..

لقد أدرك صحابة رسول الله هذا المعنى تمام الإدراك، فلم يتركوا طريقًا من طرق الخير إلا وتنافسوا فيه، تطبيقًا لتلك الآية الكريمة، فكانوا يبذلون المال، ويجهزون الجيوش، ويعملون ما يعود بالنفع على المسلمين من أوجه الخير. فعن عمر رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا»[٥].

من دواعي المواساة

الدين كما نعلم شطران، أولهما أداء حق المولى عز وجل وعبادته كما هو حقه، والثاني أداء حقوق الخلق، بتعبير آخر، يمكننا القول بأن الدين جزءان: عبادة الله، ومواساة خلقه، والجزء الأول لا سبيل لأحد إلى الاطلاع عليه لدى الآخرين، فالعبادة أمر خفي وخاص، بل وشديد الخصوصية بين العبد وربه، وهو أمر غير خاضع لقياس الناس ومقارناتهم، فلا سبيل لأحد إلى القول بأن فلانا أعبد من فلان، اللهم إلا باتخاذ الجزء الثاني دليلا على الجزء الأول، أي اتخاذ درجة المواساة ومقدارها دليلا على درجة العبادة ومستواها.

وتفاوت أفراد جماعة المؤمنين روحانيا وإيمانيا يُعد بابا مفتوحا ليدلي كل بدلوه في بحر المواساة ذاك، لقد أشار المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام غير مرة إلى ظاهرة التفاوت الروحاني بين أفراد جماعة المؤمنين، فقال: «أنصح أفراد جماعتي بأن يرحموا الضعفاء منهم والذين لم يقوَ إيمانهم بعد ويحاولوا نزع ضعفهم هذا دون أن يقسوا عليهم أو يسيئوا معاملتهم ولكن بمساعدتهم على فهم ما يجهلونه[٦]، فنلاحظ أن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لم ينتهر الأدنى إيمانيا على الإطلاق، وإنما حث الحائزين على مراتب عليا على الأخذ بأيدي إخوانهم الضعفاء، متمثلا في ذلك قول سيده ومطاعه خاتم النبيين ﷺ إذ قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[٧].

مثال القافلة ورحلة جماعة المؤمنين

بيد أن هذا التفاوت بحكم الواقع، الذى يشير إليه القرآن لا يرجع إلى عصبية الجنس أو اللون أو الأمة والقبيلة، ولا بين أحدٍ وآخر إلاّ برعاية الحقوق والواجبات، فالمؤمنون أولا وأخيرا إخوة، لصريح منطوق التنزيل الحكيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٨]. وحقيقة أن الحياة الدنيا ليست سوى رحلة سفر إلى الآخرة، هي حقيقة أصبحت راسخة لدى الجميع، والبشر على اختلاف معتقداتهم يجمعون على أن العمر بأكمله سفر، وكلما طال قصر، وهذه الحقيقة تستدعي إلى الذهن مشهد القافلة، فالقافلة أثناء قطعها الفيافي تسير على قدر احتمال أضعفها، فإذا كان فيها صبي صغير أو شيخ بلغ من الكبر عتيا اضطرت أيَّهم الحاجة إلى قضاء حاجته توقفت القافلة بأسرها لأجله حتى يقضي حاجته ويستقل ظهر ناقته، وهكذا الحال مع جماعة المؤمنين، وكل مجتمع سوي، فالأقوياء يمدون أيديهم بالمعونة للضعفاء، هكذا تسير قافلة المجتمع في رحلة لحياة الروحانية، لتبلغ محط الرحال الآمن.

فالتفاوت المشهود في المستوى الروحاني بين أفراد جماعة المؤمنين يُعد أبرز دواعي التكامل والتعاضد، لا التعادي والتدابر والتناحر، وكما جعل الله تعالى التفاوت الاقتصادي بين عامة الناس سبيلا وداعيا إلى تلاحمهم واحتياج بعضهم إلى بعض، فقد سن عز وجل فيما بينهم للسبب ذاته التفاوت الروحاني أيضا، ليظل المؤمنون بحاجة إلى بعضهم البعض، وإلا فليسكن كل منهم جزيرة نائية معتزلا الآخرين، وهذا قطعا ليس منهج الإسلام، وحين قال النبي الكريم ﷺ: «إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا»[٩]، تضمن قوله هذا أيضا، إلى جانب النهي عن اعتزال الأزواج، تضمن أيضا أن من كمالات هذا الدين تلاحم أبنائه بعامة وتعاضدهم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[١٠]

لماذا نَرمي بالحجر؟!

من غير اللائق بالشخص السوي أن ينصب نفسه حكما على الآخرين، وكأنه يشهد لنفسه بالصلاح، وهي شهادة مجروحة على أية حال، أو كأنما يقول بلسان حاله: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»!

ومما يجدر قوله بهذا الصدد رواية لا يُتيقَّن من صحتها، بيد أنها ذات مغزى على أية حال، إذ يُروى أن السلطان العثماني سليمان القانوني كان من عادته أن يخرج متخفيا في قلة من حراسه ليتفقد

وهذه الحقيقة تستدعي إلى الذهن مشهد القافلة، فالقافلة أثناء قطعها الفيافي تسير على قدر احتمال أضعفها، فإذا كان فيها صبي صغير أو شيخ بلغ من الكبر عتيا اضطرت أيَّهم الحاجة إلى قضاء حاجته توقفت القافلة بأسرها لأجله حتى يقضي حاجته ويستقل ظهر ناقته، وهكذا الحال مع جماعة المؤمنين، وكل مجتمع سوي، فالأقوياء يمدون أيديهم بالمعونة للضعفاء، هكذا، وهكذا فقط، تسير قافلة المجتمع في رحلة لحياة الروحانية، لتبلغ محط الرحال الآمن.

أحوال الناس، فمرَّ بجثة رجل ملقاة على قارعة الطريق دون أن يقربها أحد، فسأل السلطان بعض المارة عن الأمر، فقيل له إنها جثة رجل زان سكير، وليس له غير زوجته، ولم يُعقب ولدا، ولا أحد من الناس يقبل أن يدفنه أو حتى يصلي عليه، نظرا إلى ما شاع عنه من فسوقه! فرق له قلب السلطان، وقال أليس من أمه محمد ﷺ؟! ثم حمل جثة الرجل وذهب بها إلى زوجته، فلما فُجعت بخبر وفاة زوجها بكت بكاءً شديدًا فتعجب منها السلطان وقال لها لماذا تبكين وزوجك كان زانيًا سكيرا؟!

قالت الزوجة كان يفعل ذلك كل يوم ولم ينقطع حتى قلت له ستموت ولن يحضر أحد جنازتك بسبب ما يشيع عنك! فكان يضحك ويقول بل سيحضر جنازتي السلطان بنفسه هو وحاشيته والقضاة والأمراء، فقال لها والله أنا السلطان صدق زوجك وذهب السلطان داعيا كل القضاة والأمراء والعلماء والولاة وعموم المسلمين فكانت جنازة مشهودة.. بغض النظر عن مدى صدق الواقعة، إلا أنها رواية ذات مغزى، ومفادها أننا غير مخولين لإصدار الأحكام على إيمان الآخرين، وهنا يحضرني قول المسيح الناصري عليه السلام لبني إسرائيل الذين قصدوا إفحامه بالحكم على المرأة المسكينة، فأفحمهم هو بدوره قائلا: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا بِحَجَرٍ!»[١١].

المصلح الموعود ومثال صندوق المانجا

مما يؤسف له أن بعضنا يقع في خطأ منح نفسه الحق في إصدار الحكم السلبي على أخيه، فإن بعضنا الآخر يقع في خطأ أكبر، إذ يُحمِّل الجماعة كلها مسؤولية خطأ فرد واحد فيها، الأمر الذي نسميه بالتعميم المجحف، وبهذا الصدد قال المصلح الموعود رضي الله عنه: «إن بعضا من أفراد جماعتنا لدى مشاهدتهم ضعفاً في فرد آخر يتسرعون بحكمهم على الجماعة بأكملها على أنها فاسدة»[١٢].

فالحكم بالسلب على الآخرين هو بمثابة رميهم بحجر، فمهلا، قبل أن نرمي الناس بهذا الحجر، علينا أولا أن ندرك أننا بإصدار ذلك الحكم إنما نزكي أنفسنا، وهو السلوك المنهي عنه بشدة بحسب منطوق الوحي: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[١٣].

شبّه حضرته رضي الله عنه في إحدى خطبه أفراد جماعة المؤمنين في تفاوت مراتبهم الروحانية بثمرات المانجا المقتطفة من شجرة واحدة، ومعبأة في صندوق واحد، ومع هذا تتفاوت في حلاوتها ودرجة نضجها، ناهيك عن تفاوت أحجامها وربما درجات لونها.. قد يحدث للبعض أن يلتقط من صندوق المانجا التي تبدو ناضجة وشهية، ثمرة واحدة غير ناضجة أو ذات طعم مر، ومع هذا لا يُقدِم على رمي الصندوق بأكمله" [١٤]، الأمر نفسه علينا اتخاذه إزاء ملاحظتنا أي تقصير من جانب فرد في جماعة المؤمنين أو أي مجتمع.. والتاريخ حافل بالمآسي التي سببها مصدرو الأحكام التعميمية، فهتلر مثلا أحرق العالم في حرب عالمية بسبب إطلاقه حكما تعميميا على يهود العالم، فهلا توقفنا جميعا عن مثل هذا السلوك المشين؟!

الهوامش:

١. (صحيح البخاري، كتاب العلم) ٢. (الرعد: ٥) ٣. (الحديد: ٢٢)
٤. (المطففين: ٢٧) ٥. (رواه الترمذي، وأبو داود)
٦. الملفوظات، مجلد ٢، ص ٢١٩ (طبعة ١٩٨٤)
٧. (صحيح مسلم، كتاب القدر) ٨. (الحجرات: ١١)
٩. (مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار)
١٠. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)
١١. (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا ٨ : ٧) ١٢. (خطبات محمود، مجلد ١٠، ص ٥٧)
١٣. (النجم: ٣٣) ١٤. (خطبات محمود، مجلد ١٠، ص ٥٢)

البداية من النبوءة عن الابن الموعود

لو لم يكن للمسيح الموعود عليه السلام من آية على صدق دعواه غير تحقق النبوءة التي تلقاها عن ابنه الموعود لكفاه! فقد كان ميلاد ذلك الابن الموعود تحقيقا لنبوءة رائعة تصفه بأنه سيكون تجليا لعظمة الله وكماله. فولد في بيت مسيح الله كما أخبر الله تعالى. وكانت كل مراحل حياته تصدق عبارات النبوءة الطويلة، والتي بلغ عدد فقراتها اثنين وخمسين، بعدد أعوام عهد خلافة حضرته.

(المملكة المتحدة)

نفيس أحمد قمر

لقد كان من كلمات تلك النبوءة العظيمة أنه «فَهِيمٌ وذَهِينٌ، قد مُلِئَ قلبُهُ عِلمًا، وباطِنُهُ حِلمًا، وصَدرُهُ سِلْمًا.» [1] إن العلوم التي أفاضها ربّ العالمين على حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه تجعلنا نقف مذهولين لأنّ المعطيات لا تُشير إلى مصادر ماديّة متوفّرة، بل إنّ معظم تلك العلوم تلقّاها من لدن ربّه بعد دعاء وتضرُّع مخلص. [2]

أنوار العلوم

إن كتابات وخطابات سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه زاخرة بالعلوم والمعارف. وإن كتبه ومقالاته وخطاباته منشورة في سلسلة من عدة مجلدات حملت عنوان «أنوار العلوم»، وكل مجلد من تلك السلسلة الضخمة يحتوي على أكثر من ٦٠٠ صفحة، ولا تزال عملية ترجمة ونشر هذه السلسلة جارية، لما يحمل فائدة

فقد كان منبعَ فيضان علوم حضرة المصلح الموعود، الذي تبدى عشقُه له بصورة حلقات درس يومية لتفسير القرآن الكريم للرجال والنساء.. وكانت نتائج تلك الدروس تفسيرين للقرآن الكريم، هما التفسير الصغير والتفسير الكبير، وسيُدرك كل من يقرأهما مدى عشق حضرته لكلام وذات الله ...

عظيمة يرجوها القارئ العربي الذي فتح شهيتَه اطلاعُه على ترجمات سابقة لكتابات حضرته ﷺ، كالترجمة العربية للتفسير الكبير، وخطاب «الأحمدية، أي الإسلام الحقيقي»

وبالنسبة للقرآن الكريم، فقد كان منبعَ فيضان علوم حضرة المصلح الموعود ﷺ، الذي تبدى عشقُه له بصورة حلقات درس يومية لتفسير القرآن الكريم وكانت نتائج تلك الدروس تفسيرين للقرآن الكريم، هما التفسير الصغير والتفسير الكبير، وسيُدرك كل من يقرأهما مدى عشق حضرته لكلام وذات الله وكيف أنّ معارف القرآن تتجلّى للقارئ بطريقةٍ شيّقة ومدهشة وببلاغةٍ كبيرة!

لقد كتب حضرة المصلح الموعود ﷺ في المجلد السادس من التفسير الكبير «أن معظم العلوم والحقائق القرآنية قد أحاط بها عن طريق الإلهام وأن الله تعالى وهب له روحا معرفية وموسوعية وفهما عميقا للقرآن الكريم وموهبة الإقناع [٣]، وقد تحدى الكثيرين في ذلك إلا أن أحداً لم يستطع أن يقف أمامه. وقد اعترف بذلك زعيم إسلامي بارز وهو (مولوي ظفر علي خان) محرر صحيفة «زاميندار» اليومية في مدينة لاهور ورغم أن قلمه كان شديد المرارة تجاه الجماعة الإسلامية الأحمدية قال ما ترجمته: «أيها الأحراريون اسمعوا بآذان مفتوحة، أنتم وشركاؤكم لن تستطيعوا الصمود أمام مرزا محمود حتى يوم القيامة. إن مرزا محمود يملك القرآن معه، وعنده معرفة قرآنية عميقة، فماذا لديكم أنتم؟ أنتم لم تقرؤوا القرآن حتى في المنام.» [٤]

دور الإلهام الرباني

يروي المصلح الموعود ﷺ أن في وسط ١٩٠٧ علَّمه الملاك تفسير سورة الفاتحة، فيقول: «رأيتني واقفا في مكانٍ ما متوجهًا إلى الشرق إذ سمعت صوتًا من السماء مثل صلصلة الجرس أو كأنه صوت رفيع يطن كما يصدر من إناءٍ من نحاس حين يدقه أحد. فأخذ الصوت ينتشر ويرتفع وأنا شاهدٌ حتى ساد الصوت الجو كله، وفجأة رأيتُ الصوت يتجسد في شكل إطار، ثم أخذ الإطار يتحرك، وطفق يظهر من خلاله صورة وجودٍ جميلٍ رائع الجمال، ثم شرعت الصورة تتحرك وسرعان ما قفز منها شيء ظهر أمامي، وقال أنا ملاك الله، ولقد أرسلني الله تعالى إليك لأعلمك

تفسير سورة الفاتحة. فقلت: علّمْني! وجعل يعلّم ويعلّم ويعلّم، فلما وصل إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: إن السلف من المفسرين كلهم قد فسروا هذه السورة إلى هنا فقط، لكنني أريد أن أعلمك تفسير ما بعدها من الآيات، فقلت: علمْني! فأخذ يعلم إلى أن علمني تفسير سورة الفاتحة بكاملها. وعندما صحوت من النوم كنت أذكر بعض ما علّمني الملاك، لكنني لم أسجلهُ. وفي اليوم التالي ذكرتُ هذه الرؤيا للخليفة الأول ﷺ، وأخبرته أنني كنت أذكُر بعض ما علمني الملاك، لكنني لم أسجله، والآن قد غاب عن ذهني. فقال الخليفة: لقد احتفظتَ بالعلم كله لنفسك، ليتك تذكرتَ منه شيئًا وعلّمتنا أيضا. كانت هذه الرؤيا تشير في الحقيقة إلى أن الله تعالى قد أودع ذهني كنزًا من علوم القرآن كبذرةٍ، فمنذ ذلك اليوم فصاعدًا لم يحدث ولا مرة أن فكرت في سورة الفاتحة، أو أردت بيان مفاهيمها إلا وأعطاني الله تعالى معارف وعلومًا جديدة.

فإن الله تعالى بفضله قد حل لي جميع معضلات القرآن الكريم»[٥].

ولعله من المتعذر عمليًا أن نسوق كل منجزات سيدنا محمود في منشور واحد، ومع ذلك فإنه تقديرًا لإنجازاته العظيمة حيّاه وأشاد به رجال من ذوي المكانة الرفيعة من أمثال العلامة نياز الفتحبوري — العالم الشهير في القارة الهندية والمعروف بنفاذ البصيرة.. الذي أثنى عليه وقال مخاطبا حضرته: ''بين أيدينا الجزء الثالث من التفسير الكبير الذي ندرسه بعناية. لا ريب أنك خلقت وجهًا فريدًا لدراسة القرآن الكريم. والتفسير هو الأول من نوعه. وقد مزجتَ فيه بين الذكاء والعلم بطريقة جميلة جدًا. إن معارفك العظيمة وتفكيرك المتبحر، وفهمك الفريد، وطريقتك في التعبير.. كل ذلك جليٌّ في كل كلمة. أعتذر عن إهمالي لهذا التفسير كل هذه المدة. يا أسفاه! كان بوسعي دراسة مجلداته كلها. بالأمس فقط كنت أقرأ تفسير سورة هود، فتأثرت كثيرًا برأيك فيما يتعلق بسيدنا لوط عليه الصلاة والسلام حتى وجدتُ نفسي مدفوعًا لكتابة هذه الرسالة. إن الموقف الذي اتخذتَه في تفسير الآية ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ موقف فريد، ولا أجد الكلمات التي أعبّر بها عن امتناني لك. فليحفظك الله تعالى».[٦]

وقد قرظتْ جريدة ''وكالة الأنباء'' العربية الأردنية الترجمةَ الإنكليزية للتفسير تحت عنوان (ترجمة القرآن الكريم)، وقالت: .. يقع الكتاب في ٩٦٨ صفحة تضم ترجمة معاني السور المجيدة: الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة.[٧] وقد أحسن المرزا بشير الدين محمود أحمد فضم مصادر الكتاب وبحوثًا قيمة من القرآن المجيد وسيرة الرسول الأعظم وشخصيته، وكيفية جمع القرآن وغيرها. والترجمة الإنكليزية تفوق كل ترجمة سبقتها من حيث الإتقان وجودة الورق والطبع والانسجام وصدق الترجمة الحرفية، وتفسيرها تفسيراً مسهبًا بأسلوب جديد يدل على علم غزير واطلاع واسع على حقائق الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السامية. والكتاب الثمين في مجموعه دفاع عن الإسلام وردٌّ على خصومه وخاصة على المستشرقين.. يبطل مزاعمهم بأسلوب علمي رائع.

الجديد والفريد في التفسير الكبير

لقد اعتمد المسلمون عبر تاريخهم في تفسير القرآن الكريم

على الروايات المنقولة عن الصحابة رضي الله عنهم وروايات التابعين، وهي روايات جديرة بالاحترام، ولكن علماء المسلمين لم يبذلوا جهداً كبيراً في محاولة الوصول إلى القيم الروحية الكامنة في آيات القرآن الكريم، وهذا ما ركّز عليه المصلح الموعود ﷺ، فلم يترك فرصةً في آية قرآنية إلا وأظهر ما فيها من قيم روحانية تزيد إيمان الإنسان وترفع روحانيته. إن التفسير الكبير لا تصلح معه هذه العُجالة لبيان عظمته. لقد وضّح المصلح الموعود ﷺ أن القرآن الكريم يخاطب روح الإنسان كما يخاطب جسده، بل إن كل الأحكام المذكورة في القرآن الكريم يقوم بها الجسد ولكنها في الحقيقة كلها في خدمة الروح.[٨]

ومن مميزات تفسير المصلح الموعود للقرآن الكريم أنه اعتمد منهجا قويما في التفسير يقوم على ثلاثة مرتكزات رئيسة، وهي:

١- نقض الخرافات وأمور الدجل والشعوذة.

٢- تنزيه الأنبياء عليهم السلام مما نُسب إليهم من إساءات.

٣- التوفيق بين الدين والعلم والتاريخ.

فمن مظاهر نقض المصلح الموعود الخرافات ما أحاط بمعجزات الأنبياء من أمور تنافي المنطق بل وتنافي حكمة الله تعالى في الخلق. لقد أزال المصلح الموعود ﷺ هذه الخزعبيلات بما قدّمه من تفسير عقلاني في سياقات تاريخية مُجمع عليها ويتوافق مع ما تقرره اللغة العربية وبما يتوافق مع حكمة الله تعالى.

وفي إطار تنزيه الأنبياء عليهم السلام مما نُسب إليهم من إساءات، شرع المصلح الموعود ﷺ قلمه في سبيل إسقاط كل ما أُلصِق بأنبياء الله من إساءات، بقصد أو بدون قصد، إساءات من قبيل أن النبي سليمان عليه السلام يسرق عرش ملكة سبأ، والنبي داود عليه السلام يحيك مكيدة للتخلص من قائد جنوده ليستفرد بزوجته، والنبي إبراهيم عليه السلام يكذب ثلاث كذبات، فجاء تفسير المصلح الموعود ﷺ مدافعا عن أنبياء الله ومنزها سيَر هؤلاء الصالحين الأخيار.

١. حضرة مرزا غلام أحمد القادياني، مرآة كمالات إسلام، الخزائن الروحانية، مجلد ٥

٢. محمد نعيم الجابي، المصلح الموعود.. آية سماوية بينة على صدق دعوة الإمام المهدي، مجلة التقوى، مارس١٩٩٧

٣. انظر: مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، المجلد ٦، الصفحة ٣٨٤

٤. فريق التقوى، الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام حضرة مرزا بشير محمود أحمد ﷺ، مجلة التقوى، عدد يوبيل الخلافة – ديسمبر ٢٠٠٨

٥. (أنوار العلوم ج ١٧ ص ٥٧٠)

٦. مجلة ''الفرقان'' ديسمبر ١٩٦٥ ويناير ١٩٦٦

٧. يبدو أن جريدة "وكالة الأنباء" قد وقعت في شيء من الخلط بين مؤلفات سيدنا المصلح الموعود ﷺ، حيث إن التفسير الكبير لا يشتمل على تفسير لبعض السور القرآنية، كسورة آل عمران على سبيل المثال، كما أن التفسير الكبير لم يكن قد تُرجم بعد إلى الإنكليزية في ذلك الوقت، ولعل "وكالة الأنباء" قصدت تفسيرا آخر أملاه سيدنا المصلح الموعود ﷺ، ويُعرف بالتفسير الوسيط، وهو من اسمه وعدد أجزائه الخمسة يُعد أصغر حجما من التفسير الكبير، وإن لم يقل عنه جودة وإتقانا.

٨. هاني الزهيري، المصلح الموعود الرجل الذي كلمه الله، مجلة التقوى، فبراير ٢٠١٤

قراءة في كتاب "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"

مصر
د. أحمد وائل

حين نطرح على مائدة النقاش موضوع الطب التقليدي سواء بالأعشاب أو بالإبر الصينية أو بالنار أو بالماء إلى آخر قائمة الممارسات الطبية القديمة والتي ثبتت نجاعتها وفائدتها، مع ضآلة ما يترتب عليها من آثار جانبية سلبية، فإننا لا نروم من هذا تهميش دور الطب الحديث، وحينما نتحدث عن كتاب شهير، ككتاب «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب»، والمنسوب للصيدلاني والعشاب العربي داود بن عمر الأنطاكي، فليس ذلك لأننا نروج لما بات يسمى بالطب البديل أو التكميلي على حساب الطب العصري، ولكن لكي ننوه إلى الممارسات الطبية القديمة في زمن اضطراب الطب الحديث وتردده أمام هجوم العديد من النوازل الصحية، وآخرها ما كان من جائحة فيروس كورونا المستجد ومتحوراته.

ومصطلح الطب البديل لا يخلو من ضعف، فقديما كانت تلك الممارسات التقليدية القديمة، من العلاج بالأعشاب والطرق التقليدية، كانت هي الممارسة

العلاج بالأعشاب والطرق التقليدية، كانت هي الممارسة العلاجية الأساسية، قبل أن تظهر غلى حيز الوجود أساليب الطب الحديثة بآلاف السنين، ومن بينها العلاج الكيميائي والإشعاعي واستخدام المناظير وموجات الرنين المغناطيسي وغير ذلك. فالطب التقليدي بأنواعه المختلفة يعد علما قائما بذاته وله قواعده وضوابطه وتشخيصاته التي لا تقل عما هو عليه الطب الحديث، اللهم إلا في المصطلحات والآلات وتفريع التخصصات.

العلاجية الأساسية، قبل أن تظهر غلى حيز الوجود أساليب الطب الحديثة بآلاف السنين، ومن بينها العلاج الكيميائي والإشعاعي واستخدام المناظير وموجات الرنين المغناطيسي وغير ذلك. فالطب التقليدي بأنواعه المختلفة يعد علما قائما بذاته وله قواعده وضوابطه وتشخيصاته التي لا تقل عما هو عليه الطب الحديث، اللهم إلا في المصطلحات والآلات وتفريع التخصصات.

عن تذكرة داود وتراجمها

في «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب" المعروفة اختصارا بتذكرة داود الأنطاكي، كتاب في الطب يتألف من ثلاثة أجزاء ألفها الطبيب العربي المشهور داود الأنطاكي ويتناول العقاقير النباتية، ويشمل ٣٠٠٠ من النباتات الطبية والعطرية. وتوجد من هذا الكتاب ٣٧ نسخة خطية منتشرة في مكتبات الشرق والغرب، منها مكتبات عربية وأوروبية وهندية وأمريكية. وطبع عدة مرات وأغلب طبعاته هي مختصر تذكرة داود نظرا إلى طول مادته واتساعها، إضافة إلى وجود مصطلحات قديمة يصعب على القارئ المعاصر فهمها. وترجم هذا المؤلَّف إلى عدد من اللغات، كاللاتينية والتركية والفارسية والإنكليزية وغيرها من اللغات.

ومؤلف هذا الكتاب هو داوود بن عمر الأنطاكي (ولد بأنطاكية، وتوفي عام ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩م، في مكة المكرمة) واشتهر بلقب «الرئيس الضرير»، ولد كسيحا ثم شفي من كساحه. ولد بقرية الفوعة في محافظة إدلب بشمال سورية، وعاش بأنطاكية ونسب إليها، زار طالبا للعلم بقاعا شتى، كدمشق والقاهرة والأناضول ومكة المكرمة، والتي استقر بها حتى وافته المنية. وكان عالما بالصيدلة والطب.

الضمير الطبي وأخلاقيات المهنة

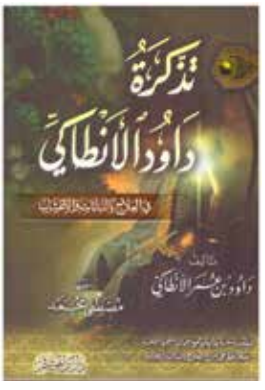

من المسائل النظرية الفكرية التي تعرض لها الأنطاكي تحديد قيمة الطب من بين العلوم مع التركيز على الحديث النبوي الشريف «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، والأثر «الحكمة ضالة المؤمن»، هذا مع تأكيده على فكرة أن علم الطب علم شريف ولا ينبغي أن يسترذل ويتناوله ضَعَة الناس

كما يستند إلى قول الشافعي: «علمان شريفان وضعهما ضعة متعاطيهما: الطب والنجوم» في حين قد ذهب إلى نظرية أرسطو حول الفضائل وصلتها بالطب عند قوله: «الفضائل تستحيل في النفوس الرذيلة رذائل كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد إلى الفساد». ومن هنا فقد كان يمهد لما يعرف بالضمير المهني في المجال الطبي وأخلاقيات المهنة وذلك بتبني عهد أبقراط الشهير في الطب، والذي صاغه صياغة إسلامية يمكن أن نقتبس منها قوله: «وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس ولا تعظم مرضا عند صاحبه ولا تسر إلى أحد عند مريض ولا تجس نبضا وأنت معبس ولا تخبر بمكروه ولا تطالب بأجر، وقدم نفع الناس على نفعك، واستفرغ لمن ألقى إليك زمامه ما في وسعك فإن ضيعته فأنت الضائع، وكل منكما مشتر وبائع، والله شاهد علي وعليك في المحسوس والمعقول، والناظر إلي وإليك والسامع لما نقول، فمن نكث عهده فقد استهدف لقضائه، إلا أن يخرج من أرضه وسمائه، وذلك من أمحل المحال»..

ثم يضيف: «ويجب اختيار الطبيب كامل الخلقة صحيح البنية نظيف الثيـــاب طيب الرائحة يسر من نظر إليه وتقــبل النفس على تناول الدواء من يـديه».

مصادر كتاب «تذكرة داود» وروافده

«ذكرة داود» كتاب ضخم، ضمنه مؤلفه وهو داود الأنطاكي وصفا لأهم الأعشاب والعطارات المتداولة في التجارة والشائعة الاستعمال، وشرحا موجزا لأهم خواصها الطبية والكيميائية مع الإشارة إلى مواطنها وكيفية استخلاصها، بالإضافة إلى تأثيرها الوظيفي (الفسيولوجي) ومزاياها الطبيعية. وبشكل عام قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أجزاء، شرح في الأول منها تفصيلاً لعدد كبير يزيد على الثلاثة آلاف نبات وعُشب، مرتبة حسب الحروف الهجائية، وخصص باقي الأجزاء للوصفات الطبية ومعالجة الأمراض المختلفة. وما من شك في أن جزءا كبيرا مما كتب «داود الإنطاكي» منقول عن كتب علماء الإغريق وعلى الأخص كتاب «العقاقير البسيطة» للطبيب الإغريقي غالينوس، وكتاب كناشة في الطب للعالم أهرف القس، بل يغلب على الظن أن داود لم يترجم هذه الكتب بنفسه، بل عمد إلى نقلها من كتب العلماء العرب الذين سبقوه، مع إضافة زياداته وتعديلاته، ومن الكتب التي يُظن استفادته منها كتاب «الحاوي في الطب»، والأقر باذين لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي... هذا ولم يتوقف «داود الأنطاكي» عند النقل بل قام أيضاً بصنع العديد من الوصفات وجربها في شفاء بعض الأمراض وأتت بنتائج باهرة فضمها إلى تذكرته القيمة.

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

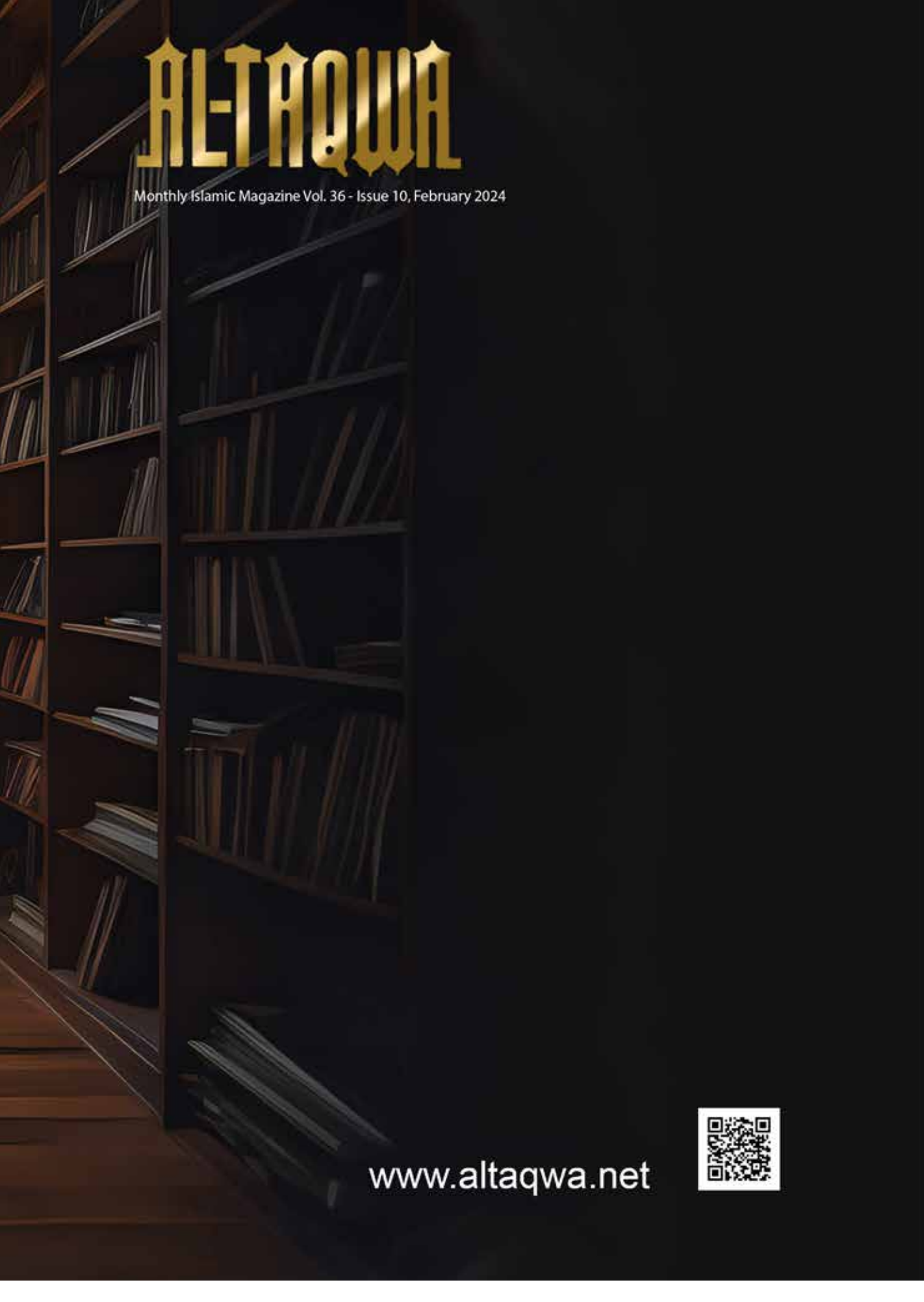

Monthly Islamic Magazine Vol. 36 - Issue 10, February 2024

www.altaqwa.net